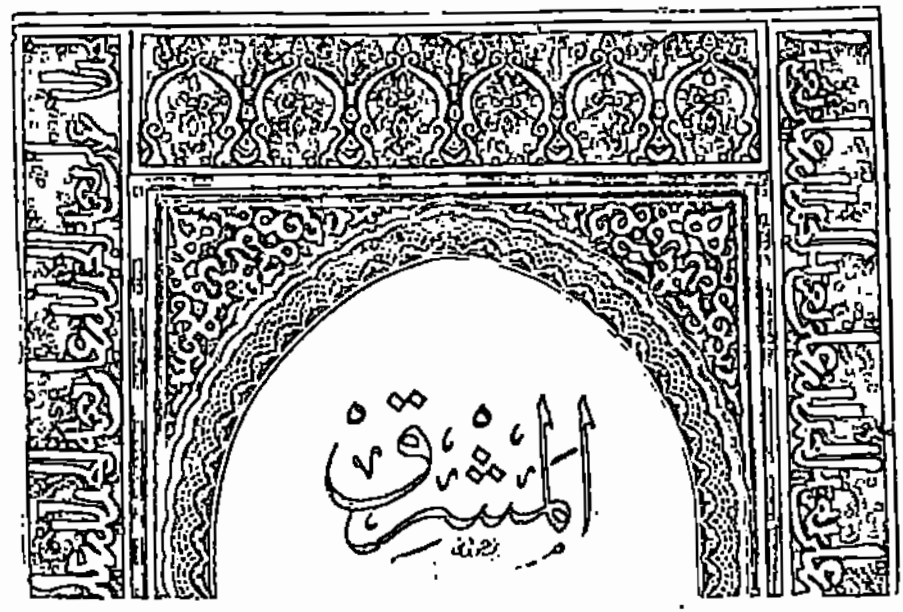

تشرين الثاني ١٩٣٩

نفوذ السيد المسيح
في حياتنا الاجتماعية

بقلم الاب مرمرجي الدومنيكي
من اساتذة المعهد الكتابي والاثري الفرنسي في القدس الشريف

يليق بنا ، قبل الخوض في هذا البحث ، ان نصنع ما صنعناه ، توطئةً للمقال السابق[1] ؛ اي ان نحدّد الحياة الاجتماعية ، كما حدّدنا الحياة الادبية . الحياة الاجتماعية هي عيشة الفرد بصحبة اقرانه في البشرية . وهي حالة واقعية غير مفتقرة الى دليل . على انها ، ان كانت اليوم شائعة بين ابناء آدم ، فهل يا ترى كانت منذ نشأة الانسانية ، وهل هي حال طبيعية ؟

قد ذهب بعض الفلاسفة العصريين ، وفي مقدمتهم روسّو ، الى ان العيشة

(١) راجع عدد تموز الفائت (ص ٤٨١ – ٤٩١) وفيه المقال عن « نفوذ السيد المسيح في حياتنا الادبية »

باجتماع ليست من مطلبات الطبيعة ، بلْ ان البشر ، بعد ان كانوا منفردين ، التأموا يوماً ، وتعاهدوا بميثاق مجمعين على العيش عيشة الجمعية . غير ان جمهور الفلاسفة ينفون هـذا القول متفقين على ان حياة الاجتماع ناشئة عن طبيعة الانسان ، لما فيه من الحاجة الماسّة اليها ؛ ولما هو مزدانٌ بـه من الخواصّ الملائمة لها ، من مثل العقل ، وابراز الخواطر ، والتكلم ، وما اشبه ذلك . فالانسان اذن ألِفٌ ، اجتماعيٌّ من طبيعته ، ومن اول نشأته .

على اننا قلنا ، في المقال السالف ، ان لكلّ حياة لا بدّ من غاية ونظام . فغايةُ الالفة الاجتماعية القريبة هي الخير العام ، بالسعي في ايجاد السعادة الزمنية لمجموع الافراد ؛ وغايتها البعيـدة هي ان تكون وسيلة للبلوغ الى الغـاية القصوى ، المتوخّاة من الحياة البشرية الادبية . امّا نظام الحياة الاجتماعية فقد اختلف فيه الفلاسفة المشترعون ، باختلاف الازمان . اما في عصرنا الحاضر ، فالمشترعون المدّعون الاصلاح يفتخرون بانهم وضعوا للالفة نظاماً كاملاً اتحفوه بهذه الكلمات الرنّانة الفتّانـة وهي : الحريّة ، الاخوّة ، المساواة . لكنهم نسوا او تناسوا امراً جوهرياً هو بمنزلة الروح لهـذه المبادئ ، الا وهو أمر السلطة القائمة عليها كل حياة اجتماعية ، وبدونها تتقوّض اركانها ؛ ولولاها ، فليس من سبيل الى الحريّة والاخوّة والمساواة الحقيقية . لان من قِوام المجتمع الداخل فيه افراد شتى ان يكون له نظام ، والّا لسادت الفوضى والتنازع ، ومن ثَمّ التباغض والتطاحن ، الناجم عنهما الخراب والاضمحلال . فمن قـال بوجوب النظام ، قال حتماً بوجوب وجود منظِّم . وليُدعَ هذا المنظِّم باي اسم كان ، فلا بأس ؛ ما دام لا تُنزَع منه خاصيّته الجوهرية اي التنظيم او الادارة او الحكم . فليسمَّ اذن رئيساً ، او زعيـماً ، او اميراً ، او ملكاً ، او امبراطوراً ، او دكتاتوراً ؛ فليطلق عليه اسم حكومة مطلقـة ، او مقيّدة ، او جمهورية . لان الامر الضروري فيه هو انه المبدأ الاساسي للألفة الاجتماعية الذي ينظمها ويدبّرها ، قصدَ الخير العام ، بموجب الشرائع الطبيعية والالهيـة والمدنية .

وعليه ، فاذ كان المسيح قد جاء لانقاذ البشرية من وهدة الحالة المضطربة

الساقطة فيها ، فقد وجّه نظره ، فضلاً عمّا اعاده الى الافراد من افضال الحرية والاخوّة والمساواة الحقّة ، اجل قد وجّه نظره ، بنوع خاصّ ، الى وضع اساس مكين للالفة باصلاحه السلطة . فكان نفوذه فيها نفوذاً فعّالاً اتى بالخير والبركات على المجتمعات . واذ اتضح لنا هذا ، فما علينا الآن الّا ان نرى كيف جرى هذا النفوذ في السلطة ، ومن ثمّ في الحياة الاجتماعية .

* * *

لكي نوقفك حقّ الوقوف على كيفية هذا النفوذ ، يجدر بنا ان نسرد لك اولاً الكلام الذي انشأ في العالم السلطة المسيحية . يخبرنا الانجيل المقدس ان الرسل كانوا ذات يوم مجتمعين حول معلّمهم الالهي ، فسألهم قائلاً : « من تقول الناس ان ابن البشر هو ؟ فقالوا : قوم يقولون : انه يوحنا المعمدان ، وآخرون انه ايليا ، وآخرون انه ارميا ، او واحد من الانبياء . قال لهم يسوع : وانتم من تقولون اني هو ؟ اجاب سمعان بطرس قائلاً : انت المسيح ابن الله الحي . فاجاب يسوع وقال له : طوبى لك يا سمعان بن يونا ؛ فانه ليس لحم ولا دم كشف لك هذا . لكن ابي الذي في السماوات . وانا اقول لك : انت الصخرة ، وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي ، وابواب الجحيم لن تقوى عليها . وساعطيك مفاتيح ملكوت السموات ، وكل ما ربطته على الارض يكون مربوطاً في السموات ، وكل ما حللته على الارض يكون محلولاً في السموات . » ويوماً آخر ، قبل ان يصعد الى السماء ، ظهر لرسله وقال لهم : « أعطيت كل سلطان في السماء والارض . اذهبوا الآن وتلمذوا الامم معمدين اياهم باسم الآب والابن والروح القدس ، وعلّموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم به . وها انا معكم كل الايام والى منتهى الدهور . » هذا هو الكلام الذي ، مهما حاول المكابرون ، فلا مجال لهم لانكار حقيقته ، او بالاحرى لانكار فاعليته التي غيّرت الاحوال . اما نحن الذين يطيب لنا ان نكرّر مع بطرس قائلين ليسوع : انت المسيح ابن الله الحي ؛ فلا يمكننا ان نتصور شيئاً اكثر جلالاً واشدّ حتماً من هذا الامر بالنظر الى الرقي الاجتماعي . فان

هذه الكلمات وغيرها كثيرة قد انشأت في البشرية سلطة الهية هي سلطة المسيح القائل لرسله: أعطيت كل سلطان في السماء وعلى الارض. وهذا سلطاني الشخصي اريد ان اجعله سلطانكم ؛ لانه كما ارسلني الآب ، ارسلكم انا ؛ وكما ان سلطتي هي سلطة ابي ، فسلطتكم هي سلطتي . ومن يسمع منكم فقد سمع مني ؛ ومن يحتقركم فقد احتقرني.

اننا غير جاحدين ان هذه الكلمات تتضمن سلطة متميزة عن سلطة حكّام الممالك . لان الذي يهمنا هو ان يسوع المسيح قد اسّس ، بهذه الاقوال ، جماعةً جديدة في العالم ؛ وفي هذه الجماعة اقام رياسة ، ليست هي الّا رياسته ذاتها . ومن سلطته هذه قد ارسل شعاعاً انار جميع السلطات المختلفة . وبذلك احدث انقلاباً تاماً في اصل السلطة وموضوعها وغايتها ، وبذلك كمّل النظام الاجتماعي برمّته. وتظهر فاعليّة هذا التأثير من مقارنة حالة السلطة قبل المسيح ، بما صارت اليه على يده.

* * *

كانت السلطة القديمة معيبة في اصلها ومصدرها ، وذلك لخلوّها من الصفة الالهية. انظر مثلاً الى السلطة الوثنيّة ؛ فانها كانت مستندة الى الانسان ، والى حقوق الانسان لا غير . اما السلطة المسيحية فتعتمد على سلطة الله ، وحقوقه الالهية وحدها . وهذا هو التباين العظيم بينها وبين السلطة الوثنيّة القديمة ، او السلطة العصرية غير المسيحية التي تحاول انكار سلطة المسيح . ففي كلا هاتين السلطتين ، لا تجد سوى حق الانسان في شخص المتقلّد زمام الامور ، والخضوع في شخص من يطيع . ترى الانسان حاكماً على الانسان ، والانسان خاضعاً للانسان . وهي العلّة الخفية التي تفسد السلطات في عصرنا ، كما افسدتها في الازمان السالفة . ومن ذلك قد حصل في هذا العصر ميلٌ عامّ بين البشر ، الى تذليل السلطات ؛ وبتذليلها تذليل الجماعات التي تحكم عليها . وهذا الميل هو ميل الاعتراض على السلطة ، ورفضها ، وتحقيرها . ودونك ما يتشبّثون به من التعلّلات : الانسان مسار للانسان ؛ والبشرية مآزية للبشرية . فلماذا يا ترى

يحكم عليَّ انسان. ولذا فاني انكر عليه هذا السلطان ، سلطان الأمر عليّ ؛ وانكر واجب الطاعة له. اذن فليسقط الطغاة المحاولون ان يلقوا عليَّ نيرهم ؛ ليسقط الملوك ، ليسقط الامبراطرة ، لتسقط كل حكومة ، لتسقط كل سلطة. « الا فلنحطّمنَّ قيودهم ، ولنلقينَّ عنا نيرهم. » هذا صراخ البشرية في كل هيئة او ألفة لا تعود ترى في السلطة سوى شخص الانسان . ولهذا فمتى زالت كل صبغة الهية من السلطة ، ومتى محيت رسمة الله من جباه اولياء الامور ، فحينئذٍ قولوا : الويل ثم الويل للامم والممالك ، وللالفة الاجتماعية كلها . لان الرياسات التي لا تستمدّ قوّتها الّا من الانسانية ، لا ترى الّا وقد رُفعت عليها الوية العصيان من كل جهة ، ولان جحود الله في المجتمعات لا بد من ان يؤدّي ، عاجلًا ام آجلًا ، الى الفوضى في الالفة البشرية.

دونك الآن ما صنع السيد المسيح ليشفي السلطة من هذا الداء الاجتماعي الوبيل . انه اقام ذاته سيد البشرية التي جاء ليخلّصها . وبذلك انشأ وقدّس في الانسان سلطة الله عينه. لان رياسة الكنيسة ، كما هي في العرف المسيحي ، ليست سوى سلطة الله في وسط العالم . وهذا ما تخلو منه كل رياسة زمنية ، مهما كان اصلها الشرعي ، وباي اسم سُمّيت. وبين سلطة الله وسلطة الكنيسة ليس من وساطة الّا وساطة الوسيط الالهي يسوع المسيح ، اذ انه ليس بمنفصل عن الله ، ولا بمنفصل عن الكنيسة ، لكونه الاله المتأنس الحيّ دائمًا في بيعته. والحال ان في ذلك لمغزى لكل لبيب ؛ وهذا المغزى قد تضمن تطورًا في السلطة نجم عنه للتقدم الاجتماعي نتائج غير خافية . لان المسيح انبت في النفوس تلك الفكرة العمرانية الاجتماعية وهي فكرة السلطة الصادرة عن الله والمعتومة باسمه . واظهر للعالم مثالاً للطاعة السامية ، وهو مثال المسيحي الخاضع للمسيح الذي يأمره في شخص الانسان . وهذا ما رقّى الانسانية. فان المسيحي يمكنه ان يقول: اني منذ جلس المسيح بين البشر على عرش الملوكية ، يحقّ لي ان اعتبر ذاتي اعظم من ان اخضع لبشر . وقد نشأ لطاعتي واحترامي قيمة جزيلة . حتى اني اذا حنيت راسي للطاعة والانقياد . فقد حنيته لصولجان الله ذاته. فلا يجسرنّ الانسان بعد على ان يأمرني بطاعته ، فاني ارفض طاعته .

لكنه اذا اتاني باسم هذه الظلمة الالهية الخاضع لها كلّ ما في السماء والارض ، فعند ذلك يراني وديعاً طائعاً محترماً . لان الامر الذي يتزل عليّ من العلاء لا يمكنه ان يحطّ من قدري. وانا موقن اني كلّما اطعت ، ازددت شرفاً بطاعتي ، وارتفع مقامي . والعبودية ذاتها لا تعود حقارةً لي ، بل لا يعود لها وجود في نظري . لاني ان وقعت في اسر اعداء الدين ، فكُبّلت بالقيود ، فانا شاعر بحريّتي ، لانه ان أُخضِع جسدي قسرًا لسلطان الطغاة ، فاني احسّ بداخلي اني لست بخاضع الّا لله . لان الاسر في سبيل الله حريّة ، والعبودية حبًّا بالله ملوكية .

* * *

العيب الثاني ، اي الملازم موضوع السلطة الدنيوية ، هو استعباد الضمائر البشرية بسيطرة الانسان . لان اولياء الامور كانوا قد طمعوا في الاستيلاء على الارواح . ولكي يتمكن الملوك والسلاطين من مدّ سلطانهم على الضمائر ، حاولوا صبغ اغتصابهم هذا بصبغة الهية ، فاعلنوا ذواتهم احبارًا . ولكي يُخفوا على الجمهور هذا الاغتصاب للحقوق البشرية ، اغتصبوا حقوق الالوهية . فاضحى الملوك والامبراطرة احبارًا ؛ وباستغلالهم غباوة العامة ، بلغت منهم الخيلاء والغرور ، لا بل الجنون ، الى ان اجهروا بكونهم آلهة . وهكذا ارتفع هؤلاء الطغاة ، بثلاث درجات ، من مقام البشريّة الى الملوكية ؛ ومن الملوكية الى الحبريّة ؛ ومن الحبريّة الى الالوهية . وبهذا اوقعوا البشر في وهدة العبودية التي فيها أُستُرِقّت ضمائرهم لهؤلاء المسوخ المقامين مقام الآلهة .

اما المسيح ، له المجد ، فلكي ينقذ ابناء المجتمع من هذه الذلّة ، ولكي يعيد اليهم ، مع الاستقلال المشروع ، عظمتهم الطبيعية ، ماذا يا ترى عمل ؟ انه انشأ في العالم سلطةً ميدان نفوذها ميدان النفوس ، كما ان مصدرها من الله . وهذا ما دلّ عليه قوله لرسله : « أُعطيت كل سلطان في السماء وعلى الارض ؛ اذهبوا وتلمذوا الامم معمدين اياهم باسم الاب والابن والروح القدس . وكل ما ربطتموه على الارض يكون مربوطاً في السماء ؛ وكل ما حللتموه على

الارض يكون محلولًا في السماء . فانت ترى ان يسوع يمنح تلاميذه سلطة وقدرة . لكن ما هي هذه السلطة وهذه القدرة ؟ انه لم يقل لهم كما قال بعض مؤسسي الاديان الباطلة : «هذا سيف اقلدكم اياه ، فاذهبوا وقاتلوا الكفار اينما وجدتموهم . فان ديني على السيف قائم ؛ والجنة تحت ظلال السيوف» ؛ بل قال لهم : هذه كلمتي ، اضعها على شفاهكم ؛ فاذهبوا وتكلموا بها ، معلمين الامم ما اوصيتكم به ، وادخلوا النفوس في مملكة الحق . فمن آمن بكلامكم فقد خلص ؛ ومن لا يؤمن ، فلا حاجة الى سيف يضرب عنقه ؛ لانه ينال من ابي السماوي العقاب الذي يستأهله . وبهذه الطريقة اسس يسوع ملكوت النفوس ؛ وهو عينه ملك هذه المملكة . فكأننا به واقف في وسط المسكونة ، على مدى الاجيال ، فيقول : هذه مملكتي : النفوس التي في المشرق ؛ النفوس التي في المغرب ؛ النفوس التي في الشمال ؛ النفوس التي في الجنوب . اجل ! انا الاله المتأنس ؛ انا ملك النفوس ؛ وليس للنفوس ملك غيري .

على ان هذه الملوكية المتجلية في شخص ابن الله قد اودعها الرب وانبتها في كنيسته ، لكي تسوس بها النفوس ، من اقاصي الارض الى اقاصيها ؛ والى منتهى العالم . هذا موضوع ايماننا . ومنذ ان اسس يسوع هذه السلطة في العالم ، هناك نوع من الظلم والجور لم يعد بعد في الامكان اتيانه ، دون ان يثير من اعماق النفوس سخطاً واحتجاجاً عنيفاً . اجل ! عند ابواب الضمائر المسيحية ، قد وضع المسيح حداً لا مندوحة بعد للملوك والسلطين وباقي اركان هذه الدنيا ان يتعدوه . ولذا فمنذ استولى المسيح على ضمائر البشر ، نسمع خارجةً من افواه تلاميذه تلك الكلمة التي تفوق قوة على قوة الملوك ؛ الا وهي الكلمة التي اجاب بها ، لاول مرة ، رسل المسيح رؤساء اليهود الذين حاولوا ، بسبيل التهديد والتعذيب ، ان يصدوهم عن التبشير باسمه ، وهي «لا نقدر» ؛ وقد اعادها بعدهم جميع المسيحيين الاحرار على سماع مغريهم ومضطهديهم ومعذبيهم قائلين . انكم تريدون ان نخضع ضمائرنا لسيطرة بشرية ؛ لا نقدر . تريدون ان نضحي لمشيئة الانسان فكراً ، ولو واحداً ؛ او مبدأً ، ولو صغيراً ، من

مبادئ المسيح ؛ الا فاعلموا ان هذا غير ممكن ، لاننا لا نقدر . تطلبون الينا ان نشرك معه في هذه المملكة الواجب ان يسود فيها وحده ؛ لا نقدر ، لا نقدر . الا ايها الملوك ، ايها الطغاة ، اعدلوا عن هذا الفكر ؛ فاننا لا نقدر ، لا نقدر . اي نعم ! ان في استطاعتنا ان نزهد في كل شيء عائد الينا . فدونكم اموالنا وثروتنا فاغتصبوها ؛ دونكم شرفنا وصيتنا ومقاماتنا ، فامتهنوها ؛ دونكم اجسادنا فعذبوها ، فزقوها ؛ دونكم ارواحنا ، فانزعوها . لكن العدول عمّا يخصّ المسيح ؛ فهذا مستحيل علينا ؛ لا نقدر ، لا نقدر .

* * *

العيب الثالث ، اي المفسد غاية السلطة البعيدة عن سلطة المسيح ، هو الانانية المؤثرة في اجرائها . فان السلطة الوثنية كانت الغاية المتوخاة منها شخصية صرفاً ، اي لمنافع المتقلدين اياها . ولذا فقد اتى المسيح ، في ذا الشأن ، باصلاح اعدّ للمستقبل نظاماً اجتماعياً جديداً للغاية . فانه حوّل غاية السلطة او قل ارجعها الى ما كانت عليه . فبعد ان كانت غاية الرياسة عند الوثنيين في شخص الآمر ، وضعها المسيح في شخص الطائع . فاضحى ذلك العلامة الجوهرية الفارقة في كل سيادة مسيحية حقيقية خلاصتها : المقصود من الحكم الخدمة ، وغاية التملك التفاني . وبعد ان كانت نيات الحكام الوثنيين التسلط على الغير ، لمصلحتهم الذاتية ، جاء المطلوب في السيادة المسيحية خدمة الغير ببذل النفس والنفيس . وهاك ما ورد في الانجيل الكريم في ذا الشأن : كان الرسل يوماً مع معلمهم الالهي ؛ فسمعهم يتخاصمون بينهم في خصوص التقدّم والسلطة . فدعاهم وقال لهم : « قد علمتم ان اراكنة الامم يسودونهم وعظماءهم مسلّطون عليهم . واما انتم ، فلا يكون فيكم هكذا . لكن من اراد ان يكون فيكم اولاً ، فليكن للكل عبداً . فان ابن البشر لم يأتِ ليُخدَم بل ليخدُم . ويبذل نفسه فدًى عن كثيرين . » بهذه الكلمات الصادرة من فم ذاك الذي اقام نفسه سيداً وملكاً على البشرية ، قد تغيّرت حالة السلطة تغيراً الهياً ، فرجعت الى غايتها الاولى ؛ ممّا نجم عنه ان كل سلطة آتية من يسوع المسيح يجب ان يُعتَل

بها كما عمل هو . وبما انه جاء ليخدُم ، تحتّم على المسلطين باسمه ان يخدموا. وكل رياسة تحيد عن هذه الغاية لا تعود تسمى رياسة مسيحية . وكما ان كل طاعة تقف عند حد الانسان ، دون الارتقاء الى الله ، ليست بطاعة مسيحية ؛ فالسلطة ايضاً تبطل ان تكون مسيحية ، متى بطلت ان تكون لخدمة البشر. وعليه ترى ان هذه هي الشريعة السائدة في طبقات رؤساء الكنيسة المقدّسة ؛ وانه كلما سمت الدرجة فيها ، ازداد واجب الخدمة . وما مُنتسق السلطة الكاثوليكية الّا نظام الخدم المتدرّجة . فهناك كل كاهن هو خادم ؛ وكل اسقف هو خادم ؛ وكل رئيس اساقفة هو خادم ؛ وكل كردينال هو خادم ، حتى ان ذلك الرجل الذي يرفعه الله الى قمة الرياسة ، لكي يأمر على المسكونة جمعاء ، ذاك الرجل الذي هو نائب المسيح ، ورأس الكنيسة المنظور ، والحائز ملء السلطة ، اي سيدنا البابا ؛ اجل ان هذا الرجل الذي هذا علوّ درجته ، وامتداد سلطته ، يلقب نفسه بلقب يدلّ دلالةً واضحة على وظيفته وعظمته معاً ، اي انه يسمي نفسه «عبد عبيد الله» او «خادم خدام الله» خادم الجميع لانه رئيس الجميع . ولم تكن هذه السلطة التي هذه صفاتها وهذه غايتها الّا لتؤثر في السلطات المدنية المسيحية . وبالحقيقة انها قد غيّرت النظام الاجتماعي وقدّمته . وبفضل هذا التقدّم ، زال من السلطة ذاك التوّ والطغيان الذي كان سائداً في العالم الوثني ، ولا يزال سائداً خارجاً عن الدين المسيحي وكنيسته المقدسة.

* * *

هذه هي السلطة التي انشأها المسيح لاصلاح وتقدّم الألفة الاجتماعية. وهي سلطة الهية في مبدئها ؛ سلطة روحية في ميدان عملها ؛ سلطة متفانية في غايتها. فبكونها الهية ، اصدرت الطاعة التي لا تؤدّى الّا لله ؛ وبكونها روحية ولّدت الاحترام الذي يرفض المرء اداءه لما هو مادّي زمني صرفاً ؛ وبكونها متفانية قد أتت بالمحبة التي لا يجود بها الانسان لصاحب الانانية . وبهذا قد اسّس المسيح للبشرية اعلى مدرسة للطاعة ؛ واعلى مدرسة للاحترام ؛ واعلى

مدرسة للمحبة ؛ ومن هذه المدارس الثلاث قد انشأ معهداً كاملاً يصدر منه الرقي في الحياة الاجتماعية . وقد عظمت هذه السلطة المسيحية ، بفعل رقيّها الطبيعي ، عظمةً عجيبة . فقد عرفتها جميع الشعوب ، واحبتها واحترمتها واطاعتها . وقد اتصلت بها كل السلطات الزمنية ، فاحتكت بها ، لا بل نازعتها ، فاضطهدتها . الّا ان هذه السلطات تغيّرت ، فانحطّت ، فزالت ، فاضمحلت ؛ على حين ان سلطة المسيح في كنيسته ثابتة راسخة ، لان اساسها مكين ، راكز على الصخرة البطرسية . وهي اليوم ، كما كانت في القديم ، زاهية ، محترمة ، مطاعة ، محبوبة ، في العالم كله ، بينما نرى عروشاً مدنية قد ثلّت ؛ وامبراطوريات قد تزعزعت وزالت ؛ ورياسات دينية عظيمة تضعضعت ، لا بل تلاشت ، فاضمحلّت .

فالمسيح لم يؤثر نفوذه الفعّال في حياتنا الادبية فحسب ، او في الافراد وحدهم ، بل في الحياة الاجتماعية عينها . فاضحت رياسته الالهية بمنزلة الروح لهذا الجسم الجسيم ؛ وبمثابة الدولاب المحرّك لجميع دواليب المجتمع الانساني . فحريٌ بنا ان نفتخر بكنيسة المسيح التي غيرت الالفة واصلحتها ورقّتها في معارج الفلاح . لنحبنّ الكنيسة ، ولنتمسكنّ بتعاليمها الالهية . لنحترمنّ الكنيسة ورياستها الروحية في حياتنا الاجتماعية . لنطيعنّ الكنيسة ولنخضعنّ لاوامرها وتهذيباتها . ومن كان خير عضو في الكنيسة المسيحية كان من احسن الافراد في الألفة الاجتماعية .

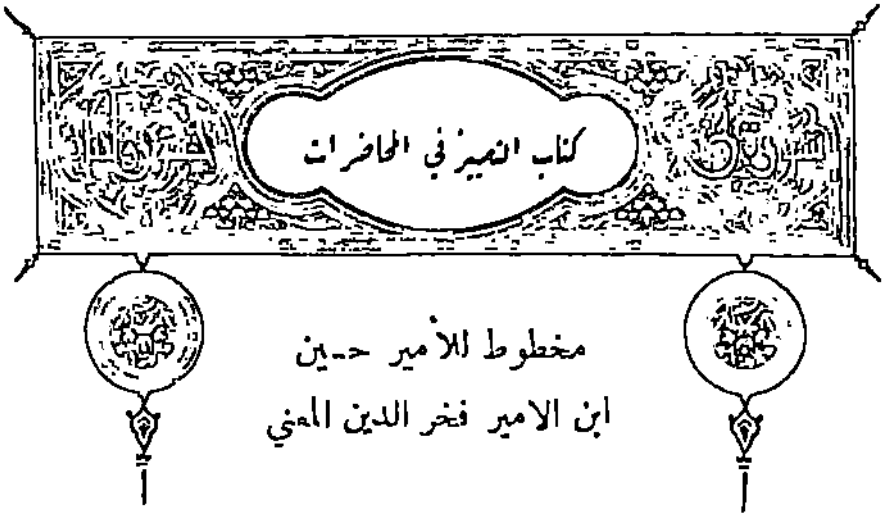

بقلم عيسى اسكندر المعلوف مؤلف تاريخ الاسر الشرقية ، وصاحب مجلة الآثار

تمهيد

كنت اول من نشر صورة الامير فخر الدين الثاني المعني ، وسيرة حياته المطولة ، معتمداً على ما كتبه مؤرخو الافرنج والترك والعرب ، ولاسيما تاريخ الشيخ احمد الخالدي الصفدي المخطوط في خزانتي ؛ وذلك في مجلتي «الآثار» ، بالمجلدات الاول والثاني والثالث ثم في الخامس ؛ وعثرت على صورة زوجته ، وفارس من فرسانه ، ومعسكره ، ونحو ذلك .

فلما رأيتُ المادَّة وافية في تاريخه ، اردت توسيع ذلك البحث المفيد ونشره في كتاب على حدة ، تعريفاً لشؤون حكم الامير المعني في اثناء القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاد . وعرفت ، من الكتب المتعلقة به ، « مجموعَ الاحزان » في مراثي والده الامير قرقماز المعني الذي مات متأثراً مما حدث له باتهامه المعلوم ؛ و « كتاب التمييز في المحاضرات » لولده الامير حسين الذي استبقي حياً في الاستانة بعد قتل والده واخوته ؛ فضلاً عن الكتب المؤلفة فيه « كتاريخ اللبناني » الذي يظنه بعضهم انه معتمده الشيخ ابو نوفل الخازن ؛ و « هندسة البناء » باقتراحه تأليف البطريرك جرجس عميره الاهدني ؛ و « مدائحه » التي ذكرها المحبي في خلاصة الاثر . فارجو ممن يعرف شيئاً من هذه الكتب ان يفيدني عنها فاكون له من الشاكرين .

لسميتُ للحصول على هذه الكتب فوفقتُ الى احدها ، وهو « منتخبات

من كتاب التمييز » لولده المذكور ، الذي سماه الاتراك « حسين بك ». فتكرّم عليَّ بنسخة مصوّرة بالشمس من « الخزانة الملكية » في القاهرة ، حافظ القسم الافرنجي ، صديقي الاستاذ توفيق بك اسكاروس القبطي ، المعروف بادبه واطلاعه ، تزيل لبنان في هذا الصيف ؛ وحملها اليَّ معه. ثم استنسخ لي نسخة ثانية بالقلم نسيبي القائمقام العسكري اسعد بك المعلوف ، تزيل لبنان ايضاً ، وحملها اليَّ معه. فاشكر لهما غيرتهما العلمية. واقول كلمتي في هذه النسخة.

كتاب التمييز في المحاضرات

يظهر من مباحث النسخة التي وقفتُ عليها انها جزء صغير من كتاب مطوّل في الآداب والاخلاق ، فنبهتُ حضرة مدير « الخزانة الملكية » في القاهرة الى الحصول على المطوّلة الموجودة في « خزائن الاستانة » ، فكتب اليَّ انه ارسل يستنسخها ولعلّه يتوفق الى ذلك.

ان « منتخبات التمييز » المذكورة الآن هي عبارة عن ثماني وعشرين صفحة بقطع الشمن ، في مجموعة ٨١ من صفحة ٢٢٩ — ٢٤٠ ، ذكرها برنامج الخزانة في طبعته القديمة الاولى (٧ : ١١٦) واليك وصفها :

رتبها المؤلف ابواباً هكذا : في مدح العقل . والعلم والحلم . والحياء . والصبر . والمشورة . والشجاعة . والادب . والصمت . والفقر . والغنى . والقناعة . والاصدقاء . والعزلة . والوحدة . والعقاب . والزيارة . والهدية . والجود والسخاء . وصيانة المال . والبخل . والتجارة . والنساء والعيال . والتزويج . والسفر والغربة . والشباب . والشيب . والمرض والاسقام . والموت . وهو ختام الكتاب كما انه ختام الحياة في هذا العالم.

والنسخة بخط نسخي عليه مسحة من الطلاوة وضبط بالحركات المهمّة ، في كل صفحة ٢٥ سطراً.

مؤلف التمييز

هو الامير حسين ابن الامير فخر الدين الثاني المعني الشهير ، وُلد سنة ١٠٣٠ هجرية (١٦٢٠ مسيحية) ؛ ووالدته ابنة الامير علي سيفا شقيق يوسف

باشا سيفا حاكم طرابلس الشام وضواحيها . فلما قدم الوزير خليل باشا بيروت باسطوله العثماني سنة ١٠٣١هـ (١٦٢١م.) ارسل اليه الامير فخر الدين ولده حسيناً وهو ابن سنة ، وبجملته الميرة والاقامات . فسرَّ الوزير به لذكائه ، وهو في المهد ، واحبَّه كثيراً لجمال صورته . وبقي يذكر هذا الطفل ويحنُّ الى لقياه كبيراً.

فلمَّا جاء جعفر باشا امير الاسطول العثماني سنة ١٦٣٤ مسيحية ، محاصراً قلعة المرقب (قرب اللاذقية) ، اسرهُ منها مع مدبّره الشيخ ابي نوفل الخازن ، وارسلهما الى الصدر الاعظم خليل باشا المذكور في حلب ، ففرّ الخازني الى بلده متنكراً ، والامير حسين صار في قبضة الصدر . فسرَّ به وحافظ عليه ، فادخله في خدمته ، ونقله معه الى الاستانة . فتلقى العلوم في مكتب غلطه ، ونقل الى قصر السلطان الكبير ، ثم الى « خاص اوطه » ، مترقياً في الرتب السلطانية في داخل القصر العثماني ، حتى صار كتخدا الخزينة السلطانية . وعرضت عليه رتبة الوزارة فرفضها . ثم صار برتبة كتابة الدولة «الخواجكانية» فتولّى مناصب كثيرة حسب عادة اصحاب هذه الرتبة ، والّف كتابه « التمييز في المحاضرات والادبيات . » وارسله السلطان محمّد خان ، ابن السلطان ابرهيم خان ، سفيراً (ايلجياً) الى سلطان الهند . فمرَّ بصيدا في ساحل البحر ، ولاقاه نسيبه الامير احمد المعني خاتمة هذه الاسرة المعنية ، والامراء الشهابيون حكام وادي التيم ، واجتمعوا به في حاصبية . وعرضوا عليه حكم البلاد فلم يقبل . وسار الى الهند فاتمّ سفارته ، وعاد مكرّماً ناجحاً الى الاستانة مشهوراً بحنكته.

ولما توفي الامير احمد المعني ، وارادوا نقل الحكم الى انسبائه الشهابيين ، اعترض الامير حسين على تعيين الامير بشير ابن الامير حسين الشهابي امير راشية لأنه ابن شقيقة الامير احمد المعني ؛ وقرَّر ان حقّ وراثة الحكم هو للامير حيدر ابن بنت الامير احمد المعني ؛ فعملت الحكومة برأيه الصوابي . وعندي اوراق من العلّامة السمعاني تثبت هذا الرأي ، ارسلها الى لبنان في تلك الايام.

وكان المؤرخ العثماني نعيما الحلبي قد اتصل بالامير حسين هذا ، وعرف منه

اشياء كثيرة عن اسرته ووالده ، وحوادث لبنان ، فكتبها في تاريخه وترجم له مثنياً على آدابه ، وذاكراً من مؤلفاته « التميز » هذا ، و « تاريخ في تراجم علماء عصره » ، وهذا لم نعرف عنه شيئاً بل نرجح وجوده في خزائن الاستانة الغنية بمؤلفاتها ونوادرها .

وكان هذا الامير متضلعاً من اللغتين العربية والتركية ، عارفاً بشؤون البلاد ، يغلب عليه التقى والصلاح وله منظومات وقفت على بيتين منها وهما :

رأيتُ العقل ينفع وهو قصدٌ ويرمي في المهالك اذ يزيدُ
كمثل الماء يروي منه قدرٌ ويُهلك منه بالغرق المزيدُ

وتوفي في الاستانة سنة ١١٠٩هـ (١٦٩٧م) رحمه الله .

مختارات من منتخبات التميز

فمما اورده المؤلف الامير حسين في باب العقل قوله : العقل هو قوة وغريزة اودعها الله في الانسان ليتميز عن الحيوان بادراك الامور النظرية . وقيل : انه نورٌ يقذف في القلب ليستعدَّ به[1] لادراك الامور والعلوم العقلية . واشتقاقه من العقل بمعنى المنع ، ومنه العقال لمنعه الانسان عما لا يليق . وهذه القوة تتفاوت بالشدة والضعف ، وتزيد بامور مكتسبة بالتجربة ومخالطة العقلاء .

وقيل : ان العقل نور الروح ، وان العقل لسان الروح ، وترجمان البصيرة ؛ والبصيرة للروح بمثابة القلب ، والعقل بمثابة اللسان ؛ ولكل شيء جوهر ، وجوهر الانسان العقل .

والحق ان العقل روحاني به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية ، وبه يمتاز الانسان من سائر الحيوان . غير ان للعقل آفات منها الهوى ، وهو اغمض مسلكاً في الحيوان من الروح في الجثمان واهلك للنفس من النفس . روي ان الحسن البصري كان يقول : لو كان للناس كلهم عقول لخربت الدنيا .

وفي باب الحلم — هو ملكة الطمأنينة عند محركات الغضب ، وعدم

---

١) في الاصل ليستذبه والأول ما ذكرناه هنا

هيجانه الّا بسبب قوي وقعه عنده بلا تعب ، ويثمر اللين والرفق . وهو افضل من كظم الغيظ ، لان من يحلم بعد هيجان الغضب محتاج الى مجاهدة كثيرة ، والحلم عند الهيجان ؛ وهو دالّ على كمال العقل وانكسار قوّة الغضب وخضوعه للعقل ، وقد امر الله عباده بالحلم بقوله تعالى: وقولوا للناس حسناً : كمال العلم بالحلم وكمال الحلم بالعلم .

وقال صاحب النوادر والاصول: الحلم سَمَة الاخلاق ، فاذا توسّع المرء في اخلاقه ولم يكن لـه علم ، افتقد الهدى ، فيحتاج الى علم يقف بـه على الحدود ؛ واذا كان له علم ولم يكن هناك حلم ساء خلقـه وتكبّر بعلمه ، لان العلم له حلاوة ولكل حلاوة شَرَهٌ ؛ فاذا ضاقت اخلاقه لم ينتفع بعلمه لان ضيقه يرمي به الى شره النفس وحدّتها ، فيكون صاحب عنف وخرق في الامور فعندها ضاع علمه فالواسع في اخلاقه حرٌّ عن رقّ النفس (شعر) .

العلم والحلم حلّتا كرمٍ للمرء زين اذا هما اجتمعا

وفي باب صيانة المال — وكان يقال الممسك اعذر من الظالم بالفعال . لا عتب على من استبقى ماله ليصون به وجهه ويعرضه عن مسألة الناس والاحتياج اليهم . قال حكيم : الحاجة الى الناس عذاب عاجل وبلاء نازل .

وفي باب السفر والغربة — وجاء في الحديث : العباد عباد الله ، والبلاد بلاد الله ، فاين ما وجدت الخير فأقم واتق الله . وكان الحسن البصري يقول: من كان مع الله فليس عليه غربة . لو يعلم الناس رحمـة الله للمسافر لاصبح الناس على ظهر سفر ، ان الله بالمسافر رحيم . وقال جالينوس: السفر يشدّ الابدان ، ويشهي الطعام ، ويطارد الاسقام .

* * *

هذه لمعة من كتاب لابن حاكم لبنان في ذلك العهد ، تدلّ على آدابـه ، وكرم محتدهِ ، وجودة اخلاقه . وهي صفحات من كتاب تاريخ والده « الامير فخر الدين المعني الثاني» الذي سيظهر باول فرصة مدبجاً بصور رائعة ، ومباحث مفيدة ، والله الموفق !

زحله (لبنان) في ٢٠ آب سنة ١٩٢٩

كيف تمّ في يوم واحد؟

بقلم الاب لامنس اليسوعي

شاءت تركية الجديدة ان تقوم لأول مرة باحصاء عدد سكانها ، فاتخذت كثيراً من التدابير العجيبة في سبيل ذلك. وانه لمن المفيد اللاذّ ان نرى كيف جرت هذه العملية الدقيقة في بلاد لم تتعوّد الاحصاء منذ وُجد الاتراك . بدأت الحكومة بان عيّنت لادارة الاحصاء اختصاصياً بلجيكياً اسمه كميل جاكار (C. Jacquart) فصرف ثلاث سنوات في تنظيم دوائر الاحصاء في الجمهورية الجديدة ، وكانت كلّها بحكم العدم قبل ذلك.

اما الاحصاء نفسه فقد تمّ في نهار واحد ، بعد ان دامت الاستعدادات له عدة شهور . وكانت اول الاعمال وضع اسماء للشوارع وارقام للبيوت . وهو امر تمّ بسهولة في المدن الكبيرة ، ولكنه لاقى الصعوبات الجمّة في النواحي البعيدة ، ولاسيما الولايات الشرقية ، حيث يمرّ الانسان بالقرى العديدة دون ان يصادف من يقرأ او يكتب . على ان المسيو جاكار يؤكد انه انتصر على هذه الصعوبات جميعها ، وليس لنا الّا ان نصدّق قوله.

بقي على الحكومة ان تجد مأمورين يكلفون احصاء السكّان ، وقد قُدّر العدد اللازم من هؤلاء المُحصين بستين الف مأمور ، وهو عدد لا يُستهان به . امّا كيف توصّلت الحكومة الى الحصول عليه فأمر غاية في البساطة : اصدرت قراراً يجبر كل شخص يعرف القراءة والكتابة ان يخدم المصلحة مجاناً فيقوم باعمال الاحصاء . وهكذا نرى ان الكماليين لا يُغالون في اعتبار الحريّة الشخصيّة ! ورغبة في زيادة الاسراع ايضاً ، صدر قرار آخر يحرّم على جميع

سكان الجمهورية ترك منازلهم في النهار المعيّن للاحصاء . وبفضل هذه التدابير الرشيدة تمّت جميع عمليات الاحصاء في كل المناطق في نهار واحد ، وانتهت قبل غروب الشمس ، الّا في الاستانة حيث ظلّت حتى الساعة التاسعة مساء . وقد برهن البوليس في ذاك النهار عن تمسك دقيق بالشريعة ، فلم يتراجع عن معاقبة المخالف ايّاً كان . حتى ان خادم المسيو جاكار نفسه الذي خرج لقضاء بعض الامور دون انتباه للشريعة الجديدة ، القي في السجن دون فحص ولا تحقيق ؛ ولم يخرج الّا بعد انقضاء النهار ، وبعد ان دفع خمس ليرات جزاء نقدياً .

ولكننا لا نعلم هل كان تمسك مأموري الاحصاء بواجباتهم يضاهي تمسك افراد البوليس . وكم كان عدد المستعدّين لاجراء مهمتهم الدقيقة في هذا الجيش البالغ ستين الف مأمور ! وكم كان عدد الذين تخلّصوا من اعمالهم تخلّصهم من سُخرة مزعجة ! وعلى كلّ فان المسيو جاكار اظهر تفاؤلاً كبيراً معتبراً ان في جميع مأموريه كل الصفات الضرورية لاجراء هذه الاعمال .

ولم تمضِ اربعة ايام على ذلك حتى انتهى فحص الوف البرقيات الواردة من جميع الولايات معلنة خلاصة الاحصاء ، فكانت النتيجة ان في تركية ١٣,٥٠٠,٠٠٠ نفس . فسُرت حكومة انقرة غاية السرور لانها لم تكن لتنتظر مثل هذا العدد . ثم ان الكثيرين من افراد القبائل الرّحل تمكنوا ، على الرغم من المراقبة الشديدة ، ان يتخلّصوا من الاحصاء خوفاً من ان يدعوا للخدمة العسكرية او ان يجبروا على دفع الضرائب . ولكن اذا انتبهنا لعدم وجود الترتيب الدقيق خارج المدن الكبيرة ، واذا انتبهنا ايضاً لرغبة اكثر المأمورين في ارضاء حكومة انقره ، امكننا الظنّ ان كثيراً من الارقام الثانوية تضخّمت ، وان الثلاثة عشر مليوناً ونصف المليون ارقامٌ اميل الى الزيادة منها الى النقص بالنسبة لعدد السكّان الحقيقي بما فيه القبائل الرّحل في برّ الاناضول .

هذا وان المسيو جاكار يسعى اليوم في ايجاد دائرة للنفوس . وسيكون اهتمامه الاولي باجبار جميع الاتراك على اتخاذ اسم اسرة يمكنهم من تقييد اسمائهم في السجلّ دون التعرّض للالتباس والغموض .

المستطاب من اخبار القبقاب

في دمشق ومصر

بقلم الاديب حبيب زيات

اشتهر القبقاب في دمشق خصوصاً ومصر. واكثر ما كان يُصنع في دمشق، ويُجلب منها الى مصر، ولذلك عدَّه البدري في جملة القاشات التي تُحمل من دمشق للديار المصرية[1]، وذكر «تفصيل القبقاب» من الصناعات التي عُرفت في زمانه في عاصمة الامويين ولم يستقص في تعدادها. ولا تزال الى اليوم احدى اسواقها مشهورة «بالقباقبية»، وراء الجامع الاموي، لاجتماع صنّاع القباقيب فيها. وهم يتخذونها في الغالب من خشب مدهون من شجر الجوز والمشمش والتوت والصفصاف والزان، مطعّم بالاصداف والاسلاك من القصدير او الرصاص. وربما كان التطعيم احياناً قليلة بالعظم. واختُص قوم بالتفصيل، وآخرون بالتطعيم. وفي سنة ١٩١٣ كان عدد المشتغلين بالقبقاب مائتين وخمسين رجلًا، كان يجهّز كل منهم في يومه عشرة ازواج تقريباً، بلغ ثمن الزوج عامئذٍ من ثلاثة الى ثمانية واربعين غرشاً دمشقياً، حسب جنسه وتطعيمه وسَيْره. والسير اما ساذجة واما مزركشة، على اختلاف في الرخص والغلاء.

وغاية ما كان ارتفاع القبقاب شبرًا، او نحوًا من ثلث ذراع، وهو المعروف «بالشبراوي». ودونه «العكاوي»، ولعله سُمّي كذلك لانه كان يصنع قبلًا في عكّا. ثم «الكُندرة» ثم «الزحّافي» وقيل له احياناً «الجركسي» او «المهاجر» لاتخاذ الجراكسة له المهاجرين في الصالحية. وهو اقلّه ارتفاعاً، ولذلك عُرف قديماً في مصر «بالزحاف» لقربه من الارض. وقد ورد ذكر له في ترجمة قاضي القضاة زين الدين التفهني الحنفي من اهل القرن الثامن للهجرة. قال تقيّ الدين المقريزي: «وواقعته مع الميموني مشهورة من حكمه بسفك دمه. وعُقد بسبب ذلك مجالس والميموني يحاججه عن نفسه ويقول له اتّقِ الله يا عبد الرحمن. أنسيت قبقابك الزحّاف وعُمّيتك القطن.»[2] وكان هذا النوع

١) ترجمة الامام، ص ٢٦٤ ٢) المنهل الصافي؛ باريس ٢٠٧١، ج ٤، ص ٤٥

في الغالب نعل المُعسرين والفقراء ، وحذاء من خانهم الدهر من الاغنياء والعظماء. واشهر من احتذاه في الشرق الخليفة الفاطمي المستنصر بعد ان خرج من جميع ما يملكه في القصر . حكى ابن ميسّر انه « لمّا كان في شعبان (سنة ٤٦٤) قدم ناصر الدولة (ابن حمدان) الى مصر وحكم فيها وسيّر الى المستنصر يطلب منه المال . فقدم اليه الرسول فاذا هو جالس على حصير وفي رجله قبقاب من خشب ابيض من غير دهان ولا سير . وحوله ثلاثة من الخدم.»[1]

واكثر ما كان يُلبس هذا القبقاب في السدور المفروشة بالرخام والحجر ، وفي الاسواق في ايام الشتاء خصوصاً . ولذلك قال ابو الحسين الجزّار :

لئن قطع الغيثُ الطريقَ ، فبقابي ، وحاشاك ، قبقابي ؛ وجوخي الدار (٢

ولا شك انه كان بالاجمال يُصنع على صورة ملائمة تمكن الرجل من الجري به . فقد حكى ابو شامة في ترجمة الشيخ ابي عمر ، شيخ الصالحية والمقادسة المتوفى سنة ٦٠٧ ، انه « كان يصعد يوم الاثنين والخميس الى مغارة الدم (في جبل قاسيون بدمشق) ماشياً بالقبقاب فيصلي فيها ما بين الظهر والعصر . »[2] وروى ايضاً في ترجمة الشيخ الشهاب محمد بن خلف بن راجح المقدسي ، احد شيوخ الصالحيين المتوفى سنة ٦١٨ بسفح جبل قاسيون قال : « قال ابو المظفر كان سليم الصدر من الأبدال ما خالف احداً قط . رايته يوماً وقد خرج من جامع الجبل فقال له انسان : ما تروح الى بعلبك ؟ فقال له : بلى . فمشى من ساعته الى بعلبك بالقبقاب[3] . »

وقد جرّ السخف بعض متعلي القبقاب الى المبالغة في اعلانه حبّاً بالظهور والعظمة . ونُقل عن رمضان فتح الدين المنوفي ، نزيل حلب من اهل القرن العاشر ، انه « كان مشهوراً بالميل الى العظيم من كل شيء . وكانت عمامته عظمى . واكمامه في غاية الاتساع . وجبّته المصقولة في غاية الصقالة . وقبقابه في غاية الارتفاع.»[5] وكذلك كان بعض القصار يَصِلون قامتهم بطول قبقابهم.

١) تاريخه ، ص ٢١ ٢) فوات الوفيات ، ج ٢ ، ص ٢٦٨
٣) ذيل الروضتين ؛ باريس ٥٨٥٣ ، ص ٧٦–٧٧ ٤) ذيل الروضتين ، ص ١٤٣
٥) در الحبب في تاريخ اعيان حلب لرفي الدين ابن الحنبلي ؛ باريس ٢١٤٠ ، ص ٦٠–٦١

حكى العقاعي عن الحسام اقوش المؤذن ، من صلحاء القرن السابع ، انه « كان قصيراً وعُمل له قبقاب عالٍ جدًّا ليرفعه عن الارض كان يطلع به جرياً في سلالم كل مأذنة . واعتاد ذلك .»[1]

وقد تقدم القول ان القبقاب اغلب ما كان يكون من الخشب . ومن اظرف ما كان يُنقش عليه من الشعر بيتان لاقوش البيسري :

كنت غصناً بين الرياض رطيباً ماثل القدّ من غناء الحمام
صرتُ احكي عداك في الذل اذ صرْ م تُ مهاناً أداس بالاقدام[2]

ويظهر انه اصطُنع بعض الاحيان من الرخام لثقله ، ليلبسه المتسابقون في العوم والسباحة[3] . واتخذه اهل الثروة والبذخ من الذهب المرصع بالجواهر . قال المقريزي في كلامه عن الملك الناصر محمد بن قلاوون : « استجدّ النساء في ايامه ... القباقيب الذهب المرصعة بالجوهر »[4] ولما ماتت ابنة الناصر خوند زوجة الامير طاز « تركت مالاً عظيماً ... من جملته قبقاب مرصّع باربعين الف درهم . عنهما الفا دينار مصرية »[5] وفي سنة ٧٧٤ قدم الامير منجك نائب الشام الى مصر ، وكان في جملة هديته للسلطان « ثلاثة قباقيب نسائية من ذهب فيها اثنان مرصعان بالجوهر قيمتها مائة وخمسون الف درهم عنهما نحو ثمانية آلاف مثقال من الذهب »[6] . وهو غاية ما يكون من الإتلاف والترف .

ومن اغرب ما استعمل فيه القبقاب تسيير اللصوص عليه ، وقتل القتلة به تشفّياً في العقاب ، « ففي خامس عشر ربيع الاول سنة ٧٨٨ سُتر من رجال المنسر ثمانية عشر على جمال . وثلاثة سُمرت ايديهم في الخشب وألبسوا في ارجلهم قباقيب خشب ثم سمرت ارجلهم فيها . وأُكرهوا حتى مشوا وهم مسيَّرون كذلك وشُهروا جميعاً بالقاهرة »[7] قال ابن قاضي شهبه : ولم يسمع

١) تالي كتاب وفيات الاعيان ، باريس ٢٠٦١ ، ص ٨٥

٢) نسب البدري هذين البيتين لابن هانئ الاندلسي (نزهة الانام ، ص ٣٦٣) والصحيح انهما لاقوش البيسري كما ذكره ابن تغري بردي ، وابن حجر في الدرر

٣) الروض الباسم لعبد الباسط ابن خليل الحنفي ، الفاتيكان ٧٢٨ ، ص ٤٧

٤) السلوك ، باريس ١٧٢٦ ، ص ٤٩٧

٥) السلوك ، ص ٦٠٣

٦) السلوك ؛ باريس ١٧٢٢ ، ص ٧٤ ٧) الكتاب المذكور ، ص ١٥٤

بمثل ذلك[١] . وفي سنة ٦٥٥ توفي السلطان المعزّ ايبك التركماني وكان قد تزوج بشجر الدر حظيّة استاذه الملك الصالح ، ثم ارسل خطب ابنة صاحب الموصل. فلمّا تحققت شجر الدر ذلك أغرت بـه الخدام في الحمام ، وجعلت الجواري ترفسه ، وشجر الدر تضربه بالقبقاب الى ان مات[٢] ثم أقيم من بعده ابنه الملك المنصور نور الدين علي ، فحملت شجر الدر الى أمه ، فضربها الجواري بالقباقيب حذوَ النعل بالنعل الى ان ماتت[٣] . وما عتمت هذه العادة الفظيعة ان اصبحت سُنةً للنساء وورثاماً . ولما فتك نصر بن عباس بالخليفة الظافر ، ووقـع بعد هربه بين ايدي الفرنج ، بعث الملك الصالح طلائع بن رزّيك بطلبـه منهم وبذل لهم اموالاً . « ولما وصل سلمه الى نساء الظافر فاقمن يضربنه بالقباقيب والزرابيل اياماً وقطعن لحمه واطعمنه اياه الى ان مات . ثم صُلب.»[٤] وكذلك فعل الملك الظاهر بالملك المغيث ابن الملك العادل لما وصل اليـه في مخيّمه في بيسان ، « امسكه وجهّزه الى مصر وكان آخر العهد به . وقيل انـه جهّزه الى امرأته فضربته جواريها بالقباقيب الى ان مات.»[٥]

وآخر ما خُتم به تاريخ القبقاب انه دخل في ادوات التعزير ، فكان يُعلّق في عنق المُشهّرين . ففي سنة ٨٥٣ « عُزّر شخص اسشاطي وطيف به على حمار وفي عنقه قبقاب.»[٦] وفي هذا المعنى وضع امين الدين الدمشقي الصالحي الهلالي المتوفى سنة ١٠٠٤ جزءاً في هجاء بني الخطاب الـذين كانوا قضاة مالكية في دمشق سمّاه « قرع القبقاب في قرعـة بني الخطاب » وفيه كل عجيبة وكل مسّة غريبة[٧].

بنيك (فرنسة) ٢٤ آب سنة ١٩٢٩

---

١) الذيل ، باريس ١٥٩٩ ، ص ١٤
٢) عيون التواريخ للكتبي ؛ الخزانة التيمورية ، ج ٢٠ ، ص ٨٦ — ٨٧
٣) السلوك ، ١٧٢٧ ، ص ١٢٥
٤) النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ، ج ٣ ، ص ٦٤
٥) روضة الناظر لابن الشحنة ، على هامش الكامل لابن الاثير ، ج ١٢ ، ص ١٥٢
٦) التبر المسبوك للسخاوي ، ص ٢٦٧
٧) خلاصة الاثر للمحبي ، ج ٤ ، ص ٢٥

حياة الشمس وموتها*

بقلم حضرة القس عبد المسيح زهر

قال الاب مورو في وصف الشمس: «اذا نظر الفلكيّ الى وجه الشمس ، وتأمل هذا الاتون من خلال عدسيّات مرتبه ، رأى الوفاً في الوف من الفوهات متأججة تنفث أوارها وتبعث الجرة محرقة ؛ وبحراً نارياً يلفظ اطناناً شتى من القذائف بين وميض البروق الخاطفة ؛ وعاصفةً مُصِمَّة تزمجر في وسطها قوى الطبيعة الثائرة ؛ واختلاطاً مدهشاً يخطف البصر قوامه اجتماع العناصر الكيماوية؛ وحريق مليارات من اطنان الموادّ المنفجرة مستمراً متواصلاً يقذف على الدوام شواظ السعير الى مدى بعيد يبذّ المسافة التي بيننا وبين القمر ؛ ورأى كل ما تتصوّره اقوى مخيلة في النظام الجهنمي . فهذا الحريق الـذي يلتهم في كل دقيقة مليوناً ونصف مليون ارض مثل ارضنا ، ويبعث حرارة مثل الحرارة التي يبعثها احراق سبعمائة مليون مليار من اطنان الفحم ، ما زال على هذه الحالة منذ ملايين من السنين . هذه هي القوّة العجيبة الموهوبة لهذا الموقد المتلظي الذي يفيض ، من اجل انواره المنعشة ، على السيّارات والارض انواع الصنائع والهبات ، ويسوق اليها اصناف الآلاء والمبرّات.»

فاذا تأمل المتأمل في هذه القوّة العجيبة ،وتدبّر بفكرته ما ينفق كل يوم هذا الكوكب من النور والحرارة ،وقف حائراً مدهوشاً ؛ بل ان حيرته ودهشته تزيد اضعافاً متى عرف ان الوقدات المنبعثة منه ، كل سنة ، تبلغ ٣٨ قدامها ٣٢ صفراً اي ٣,٨٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠

* مقتطف من مقال ممتع للاب مورو في كتابه الموسوم : « بألغاز العلم »

اما الوقدة فهي كمية الحرارة الضرورية لنقل غرام واحد من الماء من درجة الصفر الى درجة الواحد . وبعبارة اخرى هي ما يزيد حرارة الغرام الواحد من الماء درجةً واحدة . على ان ما يُرسل هذا النير الى الارض المواجهة له ، من مسافة تبعد عنها ١٥٠ مليون كيلومتر ، وقدة واحدة بالنسبة الى كل سنتيمتر مربع . ولعلّ القارئ لاول وهلة يستهين بهذه الكمية من الحرارة ويستقلها ؛ ولكنه متى فطن الى الكيلومترات المربعة الكثيرة العدد الواقعة عليها اشعّة الشمس زاد عجبه من شدة وهجها وابلس في امره . فمتى توصّل الانسان الى خزن حرارة الشمس واستطاع الانتفاع بها ، استغنى عن الوقود والفحم المعدني والكهرباء ؛ اذ هذه الحرارة الموهوبة له مجّاناً تقوم له في مصالحه الاقتصادية ، ومرافقه البيتية ، مقام انواع سائر الوقود ، فيستخدمها لتحريك الآلات البخارية ، وتسيير السفن والقطارات ، وتدوير محرّكات المعامل والمصانع ، ويستغني بها عن قوّة ٣٠٠,٠٠٠ مليار حصان بخاري .

فمن اين يا ترى يستمدّ هذا النير قوّته ، وكم اتى عليه من السنين وهو يتقد ويضي ، وكم بقي له من العمر ؟

ولعلّ القارئ يعجب من هذا السؤال «كم بقي له من العمر» ، فيقول بينه وبين نفسه : يا للعجب ، الشمس تموت ! اهذا الكوكب الذي حجمه ١,٣٠٠,٠٠٠ مليون مرة اكبر من حجم الارض يفنى ويبيد ! اهذا المصباح الوقاد الوهّاج ينطفئ وتحرم الارض من جزاء ذلك الحرارة عامل الحياة !

نعم . كل كائن يولد ويشب ويهرم ويموت ويدركه التغير او الفناء . سنة الله : ولادة ، فشباب ، فهرم ، فموت !

ولكن كيف عرف الفلكيون ذلك ، وفي اي طور شمسنا الآن ، افي طور الشباب هي ، ام انها طوت مراحله واشرفت على الهرم ؟

اعلم ان نصيب الارض من حرارة الشمس ما هو الّا شيء يسير في جنب جملة الحرارة التي يبعثها هذا النير الى ما يحفّ به من السيّارات ؛ وهذا النصيب هو نصف جزء من المليار من جملة حرارته ، وذلك من اجل قرب الارض منه ؛ اذ ليس بين السيّارات ما عدا عطارد والزهرة اقرب اليه كما ترى امامك .

جدول مقابلة السيارات بالنسبة الى الشمس[1]

	مدة دورتها حول الشمس			بعدها عن الشمس			بعدها عن الارض		كثافتها بالنسبة الى الماء	اقمارها	مدة دورتها على نفسها	
	سنة	يوم	ساعة	الاقرب	الاوسط	الابعد	الاقرب	الابعد			ساعة	دقيقة
عطارد		٨٧		٤٥,٨	٥٧,٩	٧٠	٩١	٢٠٧	٤,٧			٨٨
الزهرة		٢٢٤	٧	١٠٧,٦	١٠٨,١	١٠٨,٩	٤٢	٢٥٦	٤,٩			٢٢٥
الارض		٣٦٥	٢	١٤٧,٧	١٤٩,٥	١٥٢			٥,٥	١	٢٣	٥٦
المريخ	١	٣٢١	٧	٢٠٦	٢٢٧,٧	٢٤٨	٥٦	٣٧٧	٣,٩	٢	٣٧	٣٤
المشتري	١١	٣١٤	٨	٧٤٣,٦	٧٧٧,٣	٨١١	٥٩٣,٧	٩٦٠	١,٣	٩	٥٥	٩
زحل	٢٩	١٦٦	٩	١,٣٤٥,٧	١,٤٢٥,٨	١,٥٠٦,٣	١١٩٧	١٦٥,٤	٠,٧	١٠	١٤	١٠
أورانس	٨٤	-٧	٤	٢,٧٦٦,٥	٢,٩٠٠	٣,٠٣٣,٥	٢,٦١٤,٥	٣,١٨٥	١,٢	٤		
نبتون	١٦٤	٢٨٠	٤	٤,٤٢٥,٩	٤,٥٠٦,٤	٤,٥٨٠,٨	٤,٣٧٤	٤,٧٣٨,٨	١,١	١		

١ مقابلة السيارات بعضها ببعض

٢ الابعاد محسوبة بمليون الكيلومتر

١) هذا الجدول منقول عن كتاب عنوانه: *Tout en un*, Paris, 1921.

فاذا كان تأثير هذا الجزء الصغير من حرارة الشمس في ارضنا ، فما هي شدّتها على وجهها ؟ فتقريباً لذلك من الافهام نقول: اذا فرضنا كون ارضنا من عند بكرة ابيها قطعة جليد ، وفرضنا ان عدسيّة عظيمة قادرة على حصر حرارة الشمس كلها وتصويبها اليها ؛ فالحرارة تذوّب قطعة هذا الجليد في ربع ساعة فقط ؛ بل في ساعتين واقل من ساعتين يستحيل الجليد الذائب الى بخار. واذا كانت السيّارات الثمان البالغ وزنها ٤٤٥ ارضاً كارضنا كلها كتلة جليد ، وطُرحت في اتون الشمس المتلظّي ، فانها في خمسة اشهر تذوب كلها وتتصعّد. واذا أُلقي فيه ايضاً قطعة ماء جامد توازن جرم الشمس عينها ، فانها في مدّة ثلاثمائة سنة تستحيل بخاراً. هذه تشابيه تشرح شدة حرارة الشمس بعض الشرح.

غير ان الهدوء والسكون يسودان على هذا الكوكب كل احدى عشرة سنة تقريباً ، فتنخفض ألسنة لهيبه وتتناقص حرارته ؛ ولكن هذا السكون والهدوء لا يطولان ، فيعقبهما عواصف هائلة يهيّجها البخار الثقيل الساقط عليه من جوّه ، ويضغط على الغازات المحصورة في جوفه ، فينبثق لتزايد الحرارة غشاؤه ، وتنشأ فيه الكُلَف السوداء ؛ ولا تبرح هذه الكلف تكبر وتتسع حتى تبلغ معظم الكبر والاتساع ، ثم تضمحل وينشأ غيرها على اثرها . الّا ان هذه العواصف لشدّتها يمكنها في بضع ثوان ان تغرّق سيّارات نظامنا ، والف ارض مثل ارضنا . وما اشبه هذا الاتون ببوتقة عظيمة بلا قعر تتطاير فيها المعادن وتتصعّد حال سقوطها ! ولكن بالرغم من هذه الحرارة العظيمة التي تنفثها الشمس كل يوم ، ما زالت حرارتها ثابتة غير متغيّرة وذلك منذ الازمان التاريخية ؛ اذ ان كل نوع من النبات بقي محصوراً في منطقته كما كان في القديم . فهذا الزيتون ما فتئ يعيش اليوم في فرنسة ، في البلاد عينها التي كان عائشاً فيها على عهد يوليوس قيصر ؛ وكذلك ما برح النخيل يؤتي اكلاً طيباً في مصر وفلسطين ؛ فلو ان حرارة الشمس تناقصت قليلاً لبقي بسراً وما حلا وهذا شأن الكرمة ايضاً فلو زادت الحرارة والحت عليها لاهلكتها . فاذن ما كان في ايام الفراعنة كائن اليوم ؛ فيستدلّ من هذا كله ان حرارة الشمس لم تتغيّر منذ الازمان التاريخية العريقة في القدم.

فكيف اذن مع كل هذا الانفاق لا تزال حرارة الشمس على حالها ، وقد مضى عليها الوف من السنين ؟ فما هو السر في ذلك ؛ واني يجدّد هذا الكوكب قواه ويعتاض من الخسارة التي تحلّ به ؟

ان العلّامة فاي قد علّل ذلك هكذا اذ قال : اننا اذا فرضنا شمساً مركبة مما تتركب منه النيران الارضية ، اي من وقود شبيه بالفحم المعدني المدعوّ (*anthracite*) مثلاً ، فهذا الاتون ، وان كبيراً جدّ كبير ، لا يدوم سوى ٥٦٠٠ سنة . ولكن لمّا كانت الموادّ الموجودة في جوف الشمس لا تقدر على البقاء لافراط الحرارة عليها الّا في الحالة الغازيّة ؛ لان الحرارة تصيّرها ارواحاً كما كانت اول خلقها ، وان تلك الارواح اللطيفة اذا اصابتها النار ، وصهرتها الحرارة أبقت ولم تقدر على البقاء ، وانحلّت المركبات واستحالت الى عناصرها الاصليّة التي تركبت منها ابتداء ؛ حصل ان هذه العناصر من اجل خفّتها تطير ، وتنتقل الى الطبقات البرّانية حيث الحرارة اضعف . ولكن كل هباء من اهباء الاكسيجن يستطيع ، عند الوصول الى سطح الشمس ، الازدواج بالاهباء المعدنيّة التي انحلّت بسبب الحرارة ؛ وهذا الازدواج الكيماوي يولّد حرارة ونوراً ؛ ومهما حصل التراوح هبط الجسم المركب لثقله ، وهوى في جوف جرم الشمس الداخلي . وعلى هذا النحو يتكرّر الامر على التلاحق .

على ان هذا الراي الشبيه بالصواب هيهات ان يجلو غامض هذا المشكل ويحلّ رموزه ، لان هذا الحادث ، وان اطال حياة الشمس حيناً ، فلا يستطيع ان يطيلها الى ما شاء الله ؛ اذن ان قوّتها لا بد ان تنحلّ وتهن شيئاً فشيئاً ؛ ومهما علت تلك الاهباء وسفلت ، وعامت وغاصت ، فانها في آخر الامر تنزف نبع الحرارة وان عظيماً جداً .

* * *

متى يا ترى بدأت الشمس تبرد ، والى متى تُحيي الارض ؟

من المعلوم ان كل صكّة تولّد شيئاً من الحرارة ؛ فالطرق مثلاً يحمي الحديد ، وحكّ الخشب يولّد ناراً . ولمّا كان جوّ الارض عرضة لسقوط المطر والثلج والبرَد ، كانت الشمس ايضاً مهبطاً « لقبار العوالم » من رجوم ونيازك

وشهب. على ان اجزاء كثيرة تنفصل من النجوم وتبقى منبثة في الفضاء ، ولا تزال فيه سابحة الى ان يجذبها احد الكواكب اليه . فهذه الاجزاء او هذه الاجسام تكون سرعتها ، عند بلوغها الشمس ، ٦١٣ كيلومترًا في الثانية ؛ وسقوطها يزيد حرارة الشمس. ولكن الشمس تحتاج الى توالي هذه الامداد لئلا تفقد كل سنة درجتين من حرارتها. فاذا فرضنا ان حرارتها تساوي حرارة الماء ، احتاجت الى سقوط كيلو من هذه المواد في كل ساعة بالنسبة الى كل متر مربع ، فيكون جملة ما يسقط يوميًا ١٤٧,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ او ١٤٧ تريليونًا من الاطنان ؛ ولكن اذا انقطع عنها يومًا هذا المدد فكيف تحيا ؟

ان هذا الرأي لماير (Mayer) الالماني ، فاذا سلمنا به نتج عنه زيادة متواصلة في جرم الشمس ، ونقصان نحو ثلاث ثوان من سنتنا. ولكن الفلكيين بعد الدرس الطويل لارصاد الاقدمين لم يروا ويتحققوا شيئًا من ذلك . ثم ان هلمهولتز (Helmholtz) ادخل على رأي ماير شيئًا من التغيير ، وافترض ان الشمس قد تكونت مثل السيارات من سديم مستدير كبير جدًا كبير ، كان يمتد عشر مرات ابعد من نبتون ، آخر سيارة معروفة من نظامنا ، اي على مسافة ٤٥ مليار كيلومتر.

فاذا كانت مادة الشمس على زعمه منتشرة في وسط هذا الفلك طبقًا لهذه النسب الخيالية ، حصل بسبب ذلك جوٌ يفوق في تخلخله الفضاء الحاصل في وسط حناجير الراديوم بمئة واربعين الف مرة ؛ وفي وسط هذا التخلخل العظيم يجري كل عشرة آلاف متر مكعب ٥٢١٧ غراماً من المادة . اما هذه المواد فقد هبطت على قوله الى مركزها ، بتأثير الجاذبية ، فنشأ عن هبوطها مخزن عظيم للحرارة . وعلى هذا النحو بيّن هلمهولتز ان قوة الحرارة المتولدة على هذا النوع تكوّن عشرين مليون مرة مادة انفاق الشمس وغذائها السنوي ؛ واستنتج ان ينبوع الحرارة العامل في جرم الشمس قد اتى عليه عشرون مليون سنة وهو في العمل.

ان هلمهولتز قد استند في حسابه الى تقبض الشمس ، اذ ان الحرارة تزيد بتكوير الصكّات ، والغاز يسخن بالضغط . وبناء عليه اذا كان قطر الشمس

ينقص كل سنة ٧٦ مترًا ، كان هذا النقصان كافياً التعويض عن الخسارة اللاحقة بنيّرنا ؛ والحال ان النقص الحاصل نظرًا الى المسافة الفاصلة بيننا وبينه ليست سوى عشر ثانية قوس وذلك في كل الف سنة. فلو كان رأي هلمهولتز صحيحاً لتنبه الفلكيون على هذا الامر منذ شرعوا يرصدون الشمس بالمرقب ، ولكنهم الى الآن لم يشعروا بهذا النقص الذي توهمه هذا الفلكي ؛ فاذن حجته واهية.

ثم ان نيوكب (Newcomb) ، استنادًا الى هذه المزاعم ، ذهب الى ان قطر الشمس يصير الى نصفه بعد سبعة ملايين من السنين . ولكن ما انتشرت هذه الآراء واطلع عليها اصحاب علم الهيئة ، حتى تناولتها الاقلام بالانتقاد من كل جانب.

من المعلوم ان انتشار ضوء الشمس وحرارتها مرتبطان ، من الوجهة التاريخية ، بظهور الحياة على الارض ؛ فلم يقنع الطبيعيون بتعيين عشرين مليوناً من السنين لابتداء الحياة وظهورها فوق سطح الكرة الارضية ، بل استقلّوا هذه المدة فاوصلوها الى مئة مليون سنة واكثر . غير اننا اذا امعنا في تاريخ الارض الماضي ، وتأملنا سلاسل الجبال العالية التي كانت في كالدونية وهرزوَلد (Herzwald) ، وعرفنا ان تلك السلاسل بالرغم من مضاهاتها جبال الالب علوًا قد عفت آثارها ، ودرست بتأثير العوامل الجويّة[1] ، ثبت عندنا ان القوى المخرّبة كانت ، في عهد الامطار الغرمرمية ، تزيد عشرة اضعاف على ما هي عليه في وقتنا الحاضر . فبناء عليه فقد لا يمضي ٢٧ مليوناً من السنين ، حتى تدخل سلسلة جبال الالب في خبر كان ولا يبقى لها اثر.

اذن رأي ماير وهلمهولتز ضعيف . ولكن كثيرًا من الفلكيين زادوا عدد السنين ، وذهبوا مذاهب شتى في شأن مادة الشمس الداخلية وكثافة قلبها وحرارتها والضغط الحادث على سطحها . فاللورد كلفين (Kelvin) جعل عمر الشمس ٥٠ مليون سنة ، وغيره قال بل انقص من ٥٠ مليوناً . امّا العلم فلا جواب عنده في هذا المعنى ؛ ولذلك ما زالت افراس القرائح تجري في هذا

١) راجع المشرق (٢٦ [١٩٢٨]: ٨٦٦)

الميدان مطلقة العنان.

ولعلّ حلّ هذا المشكل في مكان غير المكان الذي نطلبه فيه . ان اكتشاف الراديوم يدلنا على ما لهذه المادة العجيبة من الخواصّ الغريبة ، فانها تتغيّر على الدوام وينبعث منها حرارة دائمة . فلمّا كانت الشمس تحتوي على موادّ باعثة النور مُشعّة ، امكنها ان تعتاض ، لاجل ذلك ، عمّا تفقده من النور والحرارة ، وذلك لان كل كيلو من جرمها يحوي ميليغرامين من الراديوم.

ولكن يُعترض على هذا بان الراديوم لا تدوم حرارته اكثر من الفي سنة. الجواب : من الممكن انه يتجدّد في قلب الشمس عوضاً ممّا ينفد ، ولاسيما انه معلوم الآن ان الراديوم ما هو الّا نتيجة استحالة الاورانيوم[1].

غير ان هذه الاقوال او المزاعم كلها ظنّية مصدرها الحدس والتخمين ، وغايتها تقصير عمر الشمس . ان الاقدمين كانوا يعتقدون الذرّة عنصراً لا يتجزّأ ، ولكن الاختبارات الحديثة تدلّ على انها مركبة من اجزاء عديدة ؛ فاذا كانت هذه الاجزاء الصغيرة كل الصغر المشبهة الاجزاء الصغيرة المتركبة منها حلقة زحل ، الدائرة حول كرة مركزية بسرعة لا توصف تبلغ في الثانية مليارات من الدورات ، كما وصفنا ؛ كانت هذه المركبات الذرية عند انحلالها ينابيع قوة عظيمة ، ليست المواد المنفجرة عندنا الّا لعبة اولاد ، بالنسبة الى تلك المركبات الكيماوية المتكوّنة في بوتقة الشمس العظيمة . وبالرغم من المسافة البعيدة التي تفصلنا عن الشمس ، فان الفلكيين بواسطة النظارات ، قدروا ان يشاهدوا العواصف الهائلة الناشئة من جزاء تولد هذه الموادّ . فعندما تكون سماء الشمس مظلمة مغطّاة بالكُلَف ، فالغازات المستجنة في جوف الشمس المنحصرة ضمن ذلك الغشاء ، لا تلبث ان تمزق الغشاء الحاصر لها ، فيحدث على اثر ذلك انفجار عظيم ينشأ عنه ما يسميه الفلكيون « نتوءآت شمسية » يعقبها طيران المعادن الى علوّ عظيم جدًّا . وعند حدوث هذه العاصفة

(١) هو معدن نادر جدًّا شعّ في ظاهره كالحديد موجود في بوهيمية ، اكتشف سنة ١٨٩٨.

فوق الشمس ، تحدث بروق خاطفة ، فتذوب اجزاؤها وتهمع في وسط ذلك الحريق على علو ٥٠٠ او ٦٠٠ الف كيلومتر.

فهذه العواصف الهائلة التي تمتزج بها الطبائع الشبيهة بالطبائع المتركبة عندنا بالابخرة المزدوجة بالهيدروجن ، تنبهنا الى ان الشمس الآن في منتصف عمرها بين الشباب والهرم . ومع هذا كله فالعلم في حالته الحاضرة لا يضنّ على هذا الكوكب المتوقفة عليه حياة الارض ببضعة عشرات من ملايين السنين . فاذا ادركت ارضنا الهرم ، وماتت موتاً طبيعياً فيكون موتها مسيّاً ولا ريب عن البرد ؛ ولكن هذا الموت ليس قريباً بل هو بعيد جدًّا . الّا ان الاخطار التي تهدّد حياة البشر العائشين فوق سطح هذه السيّارة كثيرة ؛ لاننا نعلم ان الشمس في الفضاء محفوفة بتوكب من السيّارات ، واننا نطير الى جهة برج النسر الواقع (Lyre) بسرعة تفوق ٣٠ مرة سرعة القنابل لدى خروجها من فوهة المدفع . فلربما في اثناء هذا السير الوحيّ الذي ابتدأ منذ نحو مئة مليون من السنين ، تصطدم شمسنا بنجمة سوداء او ملتهبة ، اي ميتة او حيّة ، فيحدث حريق هائل يلتهم ارضنا . على ان امثال هذا الحادث قد جرى اكثر من عشرين مرة منذ ابتداء رصد الكواكب . الّا ان هذا الحادث قد لا يقع ؛ ولكن اذا وقع فحينئذٍ تشتد حرارة الشمس فتستحيل الارض الى اتون مستعر كما كانت في عصر شبابها .

النتيجة : ان العلم في حالته الحاضرة عاجز عن تعيين نهاية الشمس . فكل ما يدلّ عليه هو ان الارض لا تكون في المستقبل ، لا هي ولا سكانها ، كما انها لم تكن في الماضي ؛ اذ كل كائن يفسد لا محالة . فما اشهى جميع اعمال الرب ، والذي يُرى منها مثل شرارة !

الحياة النسكية في لبنان

محاضرة لحضرة المتوري بطرس غالب

٣ (تابع)

ما اجمل ان يصرف احدنا ربع ساعة في محادثة هؤلاء الحبساء عبيد الله ! على وجوههم انعكاس سذاجة قلوبهم وطهارة نفوسهم . وفي صحيفة نظرهم الرائق رسم الجهد الباطني الذي يعانونه كل يوم تغلباً على انفسهم ، وقمعاً لتمرّد الجسد ليُرَدَّ عن شهواته الزائغة بصرامة التأديب ويُخضع لمشيئة الروح.

ولا ينبغي ان يستغرق العمل اليدوي سوى بضع ساعات من النهار. واكثر ما يشتغلون به تربية الكرمة وغيرها من الشجر المثمر ، غير انهم لا يذوقون العنب ولا التين ولا الخوخ ولا التفاح ولا اللوز ، وان كان ذلك من حاصلات بستانهم وبعرق جبينهم.

وهم يوزّعون ساعات يومهم على الصورة التالية : يقوم الجميع من نومه نصف الليل ليكون اسبقَ الخلائق الى تسبيح الخالق في الصباح . ثم يمضي الى المعبد ليزور القربان الاقدس ، ويصلي فرض الليل . ثم يغوص في لجة الصلاة العقلية ، ويغلب ان يكون راكعاً ، واحياناً منتصباً على قدميه . وفي كلا الحالين صالباً ذراعيه . ثم يتلو صلاة الصباح . ثم يقرّب ذبيحة القدّاس نحو الساعة الخامسة . ولا يملك اللسان تعبيراً عن حرارة عبادة شربل في شكره بعد القدّاس . وبعد ان يتلو اول سبحة وردية ، ويتبعها بقراءة روحية ، يشتغل مدة في الارض . ثم يعود الى قلايته ، فيراجع فصولاً من اللاهوت النظري والادبي ، حتى اذا استوفى ما يكون قد رسمه لنفسه ، يستأنف العمل اليدوي . وفي ساعة الظهر يتلو السواعي القانونية. ثم يعود الى الشغل المتعب ، الذي يوقظ شهوة الاكل ريثما يجيئه الطعام من الدير. غير انه يقهر تلك الشهوة ، فلا يأكل الّا قدراً يسيراً من طعام تافهٍ قليل التغذية . امّا ساعات المساء فيصرفها بتلاوة صلاة المساء ، ثم الوردية ، فالقراءة الروحية ، مع قليل من الشغل في البستان. وبعد ذلك صلاة الستار ، فالصلاة العقلية ، فتفتيش الضمير ؛

فالنوم ، ولا يتجاوز اربع ساعات او خمساً في الكثير . وفي هذه المدة القصيرة يضطجع ، والمسح عليه ، إمّا على خشبة او على شوك ؛ مسنداً رأسه الى جذع شجرة ذي عُقد ما لم يستعض عنها بحزمة حزون يابس او بحزمة شوك .

وليس مأذوناً لكل احد بالدخول الى قلاية الحبيس . حزتُ هذا الاذن مرةً ، فرأيتُ اربعة جدران سوّدها دخان الحطب الذي يحرق للتدفئة في ايام البرد القارس ؛ وارض القلاية عارية حتى من الحصير . في احدى الزوايا خابية فيها تينٌ يابس ولوزٌ . وفي زاوية اخرى دنّ خمر تحسبه كوزًا لجودته . والى جانب الدن جرّة فيها عسل شهيّ . ولا يسبق الى ذهنكم ان الحبيس يذوق شيئاً من تلك المأكولات ، بل هي عنده للزائرين . وهو يكتفي ان يزيد في اجره بحرمان نفسه ثمار براعته وتعبه .

وكان شربل يرعى هذه القوانين بكل تدقيق ولا يكتفي بها . ينام في ساعة متأخرة ، وينهض في منتصف الليل ، فينطلق الى المعبد ليحيي الربّ يسوع الساكن في هيكل زينته الفقر كقلاية الحبيس . فيصرف في حضرته ساعات يذوق فيها من سعادة التأمل ما يعجز عن وصفه القلم . فاذا انتقل الى المذبح لاقامة القداس الالهي انبعث نورٌ من وجهه الهزيل ، وتجلّت على هيئته وحركاته الرصانة والوقار ، وتوشح جلالاً وعظمة لا يدركها العالم ، واخذت طهارته الملائكية تنعكس في عينيه النقيتين . فليس قدّاسه الّا اختطاف ونجوى . وحين كان السيد المسيح بقوة كلام التقديس يهبط على ذلك المذبح الحقير الرطب ، كان شربل يذهل عن الوقت . امّا الزوّار الذين يسعدهم الحظ بسماع قداسه ، فكانوا يظنون ان الحبيس القديس قد أُنعم عليه برؤية الربّ يسوع ، لكثرة ما كان يتألق على وجهه من البهجة والحبور .

ولا ريب ان شربل ارتقى في سلّم الفضائل الى مستوى آباء البريّة العظام ، وقد كان للطاعة في عينه منزلة عالية ، فمن كلامه المأثور : يجب على الحبيس ان يكون كالعصا في يد الاعمى ؛ فانها تطاوع يد صاحبها حيثما وجّه بها بلا ممانعة ولا حجاج . عرف ان فضيلة الطاعة تخوّل افعالنا استحقاقاً جديداً ، فلم يكن ليأتي عملاً ما لم يؤمَر به ؛ ومتى امر بشيء بدر لاتمامه بدون تردّد ولا

ابطاء ، واذا اخذ في عمل لا ينفكّ عنه حتى يؤمر بتركه او بمباشرة غيره.

وقد وقع مرات لرفيقه ان يتركه وعمله ، ولا يدعوه لتناول الطعام في حينه فكان شربل يستمرّ على الصلوة ، او على عزق الارض ، او ينقي الكرمة ويجمع الحصى ويقتلع الحجارة الغليظة ، حتى يمرّ بخاطر رفيقه ان شربل المسكين لم يبرح صائماً.

على ان الطاعة العمياء وحفظ السكوت والحياة الشاقة لم تقدر ان تنتزع من شربل ما تحلّى به من دماثة الاخلاق وبشاشة الوجه ؛ ولا ان تثلم حدّ عقله المرهف وذهنه المتوقد . ان القداسة لا تكسب صاحبها شراسة ولا عبوسة وجه ، بل تقرّبه من الله المانح سرور القلب ، والموحي الحنان والمحبة.

وها انا ذاكر لكم بعض اخبار تريكم ان ذلك الناسك لم تكن تنقصه النكتة ، وانما لم يكن يظهرها الّا في ما قلّ وندر :

عهد اليه رئيس الدير بان يقدس للشركاء المزارعين ، فنبي في احد الآحاد ان ينبههم الى ان عيد القربان يقع في الخميس التالي ، فاتى الرئيس يذكره وانصرف . فلما اتمّ شربل القداس التفت الى الحاضرين وقال لهم : « يا اخوتي المباركين ، يوم الخميس القادم عيد القربان الاقدس بطالة في مقامه. » فدهش السامعون لعلمهم ان عيد القربان الاقدس بطالة عند جميع الموارنة . وابلغ بعضهم صورة هذا التنبيه الغريبة الى الرئيس ، فاستدعى شربل ووبّخه . فركع شربل امام رئيسه وقال له : اغفر لي يا ابي من اجل المسيح . اني ظننت ان عيد القربان ليس بطالة هنا. فدهش الرئيس من قوله وقال : لماذا يا ابانا شربل ! قال : بما ان ابوّتك تشغل الشركاء الاحد والعيد مساعدة للدير (عونات) فحسبت انك فاعل ذلك في عيد القربان الاقدس ايضاً . ففهم الرئيس مراد شربل ولم يتبس بكلمة.

وكان مرةً يقدّس ، فسمع اناساً يحلفون ويسبّون في ساحة الكنيسة . فلمّا انتهى القداس خرج الى الساحة فاذا الذي كان يسبّ ويضجّ رجل من شركاء الدير ، قد اخذ منه الغضب مأخذه فاصبح لا يعي ما يقول . فقال له بهدوء : ماذا جرى لك يا ابني ؟ قال : أيكون الرهبان سرّاقة ؟ قد وضعتُ

عصاي في زاوية الكنيسة ثم اتيت اطلبها فاذا هي مسروقة . قال الجيس :لا تدنْ قريبك دينونة باطلة. واشار الى جرن من حجر في ساحة الكنيسة يوازي وزنه قنطاراً وقال : انظر الى هذا الجرن انه في هذا الموضع من اكثر من مئة سنة ولم يسرقه احدٌ . وقد سنحت للرهبان فرصة سرقته مراراً ولم يسرقوه . فضحك الرجل حتى استغرب وانطلق في سبيله وفُضَّ المشكل.

ومن لطائف الاب شربل ان كاهناً من رتبة خوري اسقفي كان مولعاً بالملابس الحسنة والزينة الظاهرة مما يدلّ على انه نازعٌ الى الترَف ، وقد قيل انه لم يكن طيّب السمعة لتغطرسه وزهوه ، بل كان معجباً بنفسه وببعض وظائف قُلّدها اكسبته خشونة اللفظ ، وارتفاع الصوت عندما يحدّث الآخرين . اتى يوماً الدير متبرجاً مصفف الشعر متزيناً بكل حليه من خاتم ذهبيّ في اصبعه ، وصليب بسلسلة من ذهب على صدره ، وفروة ناعمة غالية الثمن شاملة جسمه من الكتفين الى الركبتين ، وفي الجملة في بزّة امير متصلّف لا في ثياب اكليريكي متواضع . وفي اثناء تحدّثه الى الرئيس ، علم ان الرهبان الحدثين يصنعون خبزاً في الفرن وشربل معهم . فاحبّ ان يراهم على هذه الحال فاخذه الرئيس الى الفرن ، ولم يخلع عنه فروته الثمينة مع ان الطقس كان حارًّا والنار شديدة في الفرن . واذ كان لا بد من كلام يقوله للرهبان الشبان لئلا يقال انه ابكم ، فتح فاه وقال:ما اسعدكم ايها الرهبان!.فانكم في اديارکم بمعتصم من الخطيئة حصين . فاجابه شربل على الفور : « ليس حضرتك باقل سعادة منّا من هذا الوجه . أو هل يمكن للخطيئة ان تجد منفذاً الى قلبك من خلال هذه الفروة النفيسة السميكة !» فمضى الخوري الاسقفي ، ولم يذكر التاريخ ان وخزة شربل نفذت الى قلبه من خلال الفروة السميكة !!!

لا تتوهموا مما قلته ان شربل كان على شيء من سوء النية والنزوع الى المزح لاجل المزح . فالحقيقة ان حياته كانت موجزاً لحياة حبساء كل العصور ، فبعد ان هجر عائلته بنية ان لا يعود يراها الّا في السماء ، وترك لاخوته حصته من الارث ، حبس نفسه اولًا في دير حصين ، ثم في محبسة معرّضة لجميع التقلبات الجوية على ذروة جبل يقع النظر من فوقه على مشاهد بديعة تأخذ بمجامع

القلب. غير ان شربل لم يكن ليتمتع بها ناظريه ، بل تقفى في ذلك إثر سلفه زابينا الذي عاقب نفسه بان لا يرسل نظره ، على سبيل الفضول ، الى شيء من المنظورات ، فصرف حياته لا يرفع نظره الى سقف قلايته.

يا للسيرة الملائكية العجيبة! لقد انصرف شربل الى الصلاة العقلية واللفظية. لا يخرج عنهما الّا الى الاشغال المفروضة من القانون . ولشدّ ما اجهد النفس في قهر جسده بالصوم ، والسهر الطويل ، وخشونة المسح ، والسلاسل الحديدية ذات الاشواك التي وجدت في قلايته بعد موته. وقيّد جميع اعماله باوامر الطاعة يأتيها على وفاق ما تشتهيه ؛ قانعاً من اكلته اليومية ببعض الحبوب ، مبالغاً في رعاية قانون الصمت ، يربط شعر رأسه الطويل بخيط من حديد ويجمعه محجوباً بقلنسوته ، ولم يأذن لنفسه البتة ان تذوق شيئاً من العنب وثمر البستان ممّا كان يُعنى بغرسه وتربيته . عاش ١٨ سنة معتزلاً الناس متحداً بالله . وما زال على هذه الحال حتى عشية عيد الميلاد سنة ١٨٩٨. وقد شرف الله قبرهُ بآيات كثيرة فذاع صيت ذلك الذي كان مدة حياته يطلب التواري وراء حجاب العزلة.

لقد كان حبيساً قلّ نظراؤه في الحبساء . الّا انه يوم ينادي به الحبر الاعظم طوباوياً سيشتهي الناس ان يعرفوا حقيقة السيرة النسكية ، ويزداد اعتبارهم لها لعلها تستعيد نماءها القديم في لبنان ، وما هي اليوم بالقريبة من الزوال. والمسيحيون الذين يكونون قد بنوا حكمهم في الحبساء الذين لا تنطبق حياتهم على مبادئ العالم الخادعة ، سوف يقدرون سيرتهم العجيبة قدرها ، يوم يرون الجالس على عرش بطرس يأمر بان يُكرّم على المذابح ذلك الحبيس المسكين الذي كان يعدّه اقرانه أبله.

وسيذكر اللبنانيون ان القديسين والحبساء هم الأولى بنوا في لبنان حصن الايمان والاستقلال ، وهم الذين سيحرسونه بقوّة صلاتهم وتضحياتهم . لقد كان لهؤلاء الرجال القديسين غاية سُميا منها يستمدّون القوة والثبات في معترك الحياة وروح التضحية ، وهم ادركوا معنى الحرية الحقيقية الصحيح ، اعني حرية ابناء الله. ولئن صحّ القول ان الاساقفة اوجدوا فرنسة ، فليصحّ كذلك القطعُ بان للحبساء والرهبان الحظ الاكبر في تكوين لبنان الكاثوليكي المستقلّ !

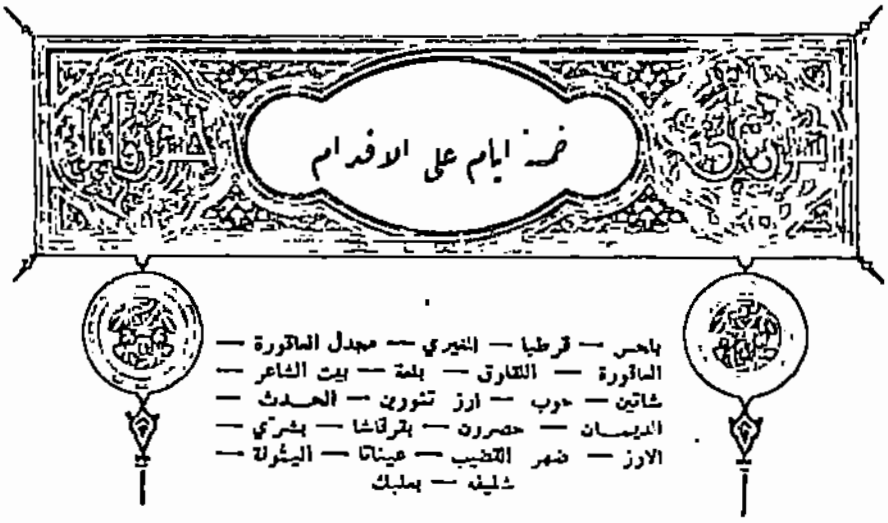

بقلم فؤاد افرام البستاني

١

في عصر السيارة تقطع بك المئة الكيلومتر في الساعة ، مستريحةً ومستريحاً ، فتنقلك ، على الطرق المعبّدة ، من مجازر الامواج الى مساقط الثلوج بسرعة تنسى معها ماهية الوقت ، وكمية المسافات ؛ في عصر الفنادق الانيقة ، القائمة قصوراً فخمةً على قمم لبنان ، المزدانة بجميع مرافق الرخاء ومظاهر الترف ، تستقبلك موائدها الفاخرة باطعمتها المزجّاة ، وانبذتها المعتّقة ، وتنتظرك أسرّتها الوثيرة لتغرق في حشاياها بين الآمال والاحلام ؛ في هذا العصر يستغرب « العصريون » ان يسير الناس مسافة خمسة ايام على اقدامهم ، في وعورة الرمال ، ووعورة الجبال ، حتى اذا برّح بهم التعب حطّوا عصيّهم — وليس في التعبير شيء من المجاز — الى جانب عين يستسيغون ماءها الزلال ، وبسطوا سُفرتهم يأكلون ما تيسر لهم من المقدّدات وما رُفقوا الى شرائه من الفواكه والخضراوات ؛ واذا ادركهم الظلام ، خيّموا — وهذا التعبير ايضاً غاية في الحقيقة — ضاربين اطنابهم ، فافترشوا الارض ، وتوسّدوا الحجارة . هذه الطريقة في السير قليلاً ما نفهمها في عصرنا ، بل قليلاً ما نفهم معنى «السفر» الحقيقي . وانّ لهذه اللفظة عند العرب جوًّا خاصًّا من الاتعاب والملذات يهوّل بتعداد العقبات والمصاعب ، ويملّق بالرغبة في المغامرات واكتشاف الجديد من المناظر ، حتى قال البعض : «السفر قطعة من العذاب» فاستدرك عليهم غيرهم مستعينين بالله على ما يولده من

المشاق قائلين : « لو يعلم الناس رحمة الله للمسافر لاصبحوا على ظهر سفر ! » كل هذا مع ما يجرّه من فائدة للابدان من حيث انه رياضة نافعة ، ومن ترويض للاخلاق بجعله الارادة تقوى شيئاً فشيئاً على الصعبات ، ومن فائدة للعقل بما يبسطه امامه من المناظر الجديدة ، والآثار المختلفة ، والبلدان المتنوّعة ، والبيئات المتباينة لهجةً وعادةً وتقاليد ، كل هذا يكاد يُنسى اليوم اذ يتحوّل « السفر » ، في بلادنا خصوصاً ، الى مرور سريع على اجنحة السيارات.

ولكننا شئنا ان « نسافر » في جهات لبنان الشمالية والشرقية ، فقطعناها على الاقدام من جرود قرطبا الى سهول بعلبك ، في مدة خمسة ايام جمعنا في خلالها بعض التأثيرات والمعلومات . فرأينا بسطها لقرّائنا الكرام فيشاركوننا بما تعلّمناه ، ان كانوا يجهلونه ، ويتحقّقون معنا فوائد السفر على الاقدام ، فيباشرونه اذا سنحت لهم الفرصة.

* * *

اجتمعنا في كلية القديس يوسف ، ثلاثة عشر « مسافراً » ، مساء الجمعة في الثلاثين من آب الفائت . ثلاثة عشر ! ونهار الجمعة ! دافعان الى التشاؤم قويّان ، يكفي الواحد منهما ليثبط الهمم الماضية اذا كان اصحابها ممن يتراجعون امام المصادفات . غير انه لم يكن للتشاؤم مكان في عقليّاتنا اذ ذاك ، وكلها مندفعة حماساً الى السفر ، تائقة لاختبار ذاك النوع من الرياضة ، حتى اننا لم نكن لنشعر بثقل هواء بيروت الرطب ، لولا ميازيب العرق المتصبّبة الى اطرافنا . وكان معنا اثنان من الآباء اليسوعيين اعتادا امثال هذه الرحلات ، فاعدّا برنامج رحلتنا على غاية ما يُرام من الدقة والترتيب.

اليوم الاول

بيروت — بلحس — قرطبا — المنيري — المجدل — زحلة الباقورة — اللقلوق

دقّت الساعة الرابعة صباحاً ، واذا بنا نبادر الى الرتاج الخارجي منتظرين السيّارات التي ستقلنا الى منتهى طريق بيروت — جبيل — قرطبا ، لاننا لم نرَ من الضروري ان نتهك قوانا مشياً على طريق البحر ، في ذاك الحرّ المذيب...

ولكن ما اصاب اولئك السواقين؟ها قد مرّ ربع ساعة على الميعاد، وربع آخر، وربع ثالث، والسكوت لا يزال مخيماً في الشارع، والتضجر يأخذ منّا شيئاً فشيئاً. فكانت تلك اولى المعاكسات، واولى نتائج العدد المشؤوم. على ان الانتظار لم يطل الى ما وراء ذلك، فدوّت اصوات الزمّارات، واذا بالسيارات تقف بعجب وخيلاء متأهبة لتعويض ما فُقد من الوقت، فركبنا، وسارت تنهب بنا الشوارع وتوقظ النوّام. حتى اذا خرجنا من المدينة على طريق الاسفلت، اهاب شيطان المسابقة بالسواقين فلبّوا دعوته، دون انتباه لنا. فكنا نرى عقرب مقياس السرعة يتنقّل بين الستين والمئة والعشرة، فنذهل ونحوّل ابصارنا فنلمح اشجار الطريق تنشب في شبكات اعيننا كالحراب المتلاحقة، والبيوت تتراجع بسرعة حتى تغور في الابعاد. فاستسلمنا لمشيئة الله ومشيئة السواقين، ولم نشعر الّا ونحن على مقربة من جونية.

وبعد ان قطعنا برجا، او طبرجا، فاعجبنا، وما كدنا، بجوّها الطبيعي الصغير الذي كان آمن مرسى للسفن الفينيقية عند اشتداد الأنواء؛ ومررنا على نهر ابراهيم ذي المصبّ الملتوي الجميل، المذكر بدم ادونيس المسفوك، وبرغبة الفينيقيين في الخرافات الدينية؛ اشرفنا على جبيل، فبدت ببرجها العالي، وآثار حفرياتها الجديدة، واعمدة هياكلها، تحدّث عن عظمتها الدينية الماضية اذ كانت مركز العبادة الفينيقية ومزاراً يحجّ اليه جميع الفينيقيين. بيد اننا لم نحجّ اليها هذه المرّة، بل تركنا طريقها قبل الوصول، ذاهبين صُعداً في الطريق المؤدّية الى طرزيا مارّين من جهة دير البنات، منحرفين نحو اليمين، سائرين اكثر من ساعة في جرود لا شيء فيها يستحقّ الذكر سوى وعورة الطريق، وهي في بعض الاتواع اشبه بطريق الحافر منها بطريق السيارات، وكثرة الحجال التي كانت «تتكلّم» في تلك القمم، حتى اذا سمعت هدير محرّكاتنا، تطايرت، فتنقل بعضها ببطء من زاوية الى اخرى، وهبط غيرها متوخّياً الى الاودية القريبة.

ولم يكن نبع طرزيا الفوّار ليوقفنا طويلاً، اذ كان قد ارتفع النهار، وتعالت الشمس منذرة بحرّ شديد، فتركناه الى منتهى طريق قرطبا، بعد

صعوبات جمة ، ومحاورات مع السوّاقين الذين امتنعوا مرّتين عن مواصلة السير بحجة ان الطريق لا تُسلك . على انها سلكت اخيراً فوصلنا الى منتهاها ، في اعالي قرية تُدعى بلحس على مسيرة ساعة من قرطبا ، فترجّلنا[1] . وكنّا قد كتبنا طالبين بغلًا لحمل امتعتنا ، فرأينا بانتظارنا ، بغلين وحمارين ، مع مكاريين اسم الاول يوسف والثاني عازار (انظر الرسم ١) فقلنا : زيادة الخير خير . وسرنا نضرب في رمال بيضاء تلتهب تحت ارجلنا حتى اطللنا على قرطبا فقصدنا عينها . وكانت اول عين شربنا منها في رحلتنا . ومن ثمّ لم ندع نبعاً الّا ذقنا ماءه .

هناك ، امام العين ، تحت التوتات ، على مسمع من بعض شبّان الضيعة ، اسمعنا عازار خطاباً بليغاً في مشقّات حياة المكارين ، وكثرة نفقات الدواب عامّة ، وبغلته خاصّة ، لاسيا في هذا العصر الذي كثرت فيه السيّارات فزاحمت الدوابّ وكادت تقطع رزقها . ولم يكن سبب ذلك سوى اننا اعطيناه اجرته من بلحس الى قرطبا ، وشكرناه قائلين اننا نستغني عنه في ما بقي من الطريق ، لاننا لم نكن بحاجة لغير بغل واحد ... فكانت تلك خاتمة خير ليوسف الذي فرك يديه فرحاً ، وحمّل الامتعة كلها على بغله بسرعة كلية ، وسار امامنا على طريق مجدل العاقورة .

ومن تلك النقطة بدأنا نشعر بحسنات السفر على الاقدام ، وبأتعابه ايضاً . امّا الاتعاب فندع وصفها لفرصة اخرى . وامّا الحسنات فمنها ما تقدّم ذكره ، ومنها ان السفر ينشط في عقلية المسافر ذاك الفضول العلمي ، وهو اول شرط لاكتساب المعارف كما يقول الفلاسفة ، فيُصبح ولا غاية له الّا ان يسأل عن كل ما يُصادف . وهكذا اصبحنا سؤالًا حيًّا جائلًا ، بل ثلاثة عشر سؤالًا ، لا نلتقي بشخص الّا ونسأله ، بعد السلام :

— ما اسم هذه القرية ؟ — واسم تلك الظاهرة امامنا ؟ — وكم عدد

---

١) امّا اليوم فقد وصلت طريق السيّارات الى قرطبا ، ودُشّنت بعد مرورنا بنحو اسبوعين . فكان اول ما دخلها من السيارات سيّارتنا يشاره منصور سالم واخيه طانيوس القرطباويين ، في ١٦ ايلول الفائت . وقد نظم حضرة الاب اغوسطين سالم القرطباوي قصيدة بعنوان « الركائب » يذكر فيها من كان لهم اليد البيضاء في شقّ تلك الطريق واقامها

سكانها ؟ — اي شيء عندكم يستحق الذكر ؟ — الا يوجد عين ماء في هذه الجهات ؟ — ماذا تحمل يا عم ؟ — الى اين تقصدين يا خالة ؟ — الى غير ذلك من الاسئلة المتنوعة قالباً وغايةً ، وكان اكثر ما يُطرح السؤال الآتي :

— كم بقي امامنا من المسافة الى القرية الفلانية ؟

فكان غير المنشطين — وهم قليلون لسوء الحظ ! — يذكرون المسافة الحقيقية على التقريب . وكان المنشطون المحبون ، جازاهم الله خيراً ، يجيبون بلطف ذاكرين خُمس المسافة الحقيقية ، او ربعها ، او ثلثها . فيسيئون الى المسافرين من حيث لا يقصدون ، اذ يدفعونهم الى اليأس والتخاذل ، اذا انتهى الوقت الذي عيّنوه ولم يبلغوا الى القرية المطلوبة .

هذا ما حدث لنا طول تلك الايام الخمسة . وكان اول استلتنا عن مجدل العاقورة ، فكنا نسمع الناس يقولون من قرطبا : هي على مسيرة ساعة ، او ساعة ونصف ، او ساعة الا ربع . فكانت النتيجة اننا سرنا اكثر من ثلاث ساعات . . .

على الطريق بين قرطبا والمجدل مزرعة صغيرة تدعى المغيري ، فيها عين ماء لا بأس بها . وعلى مسافة منها طلل روماني لم يبقَ منه قائماً سوى الباب . (الرسم ٢) وهو من الحجر المصفر بحجم كبير ، على الطراز الروماني المعروف ، يعلو نحو الثلاثة الامتار ؛ وقد نبتت الى جانبه جوزة كبيرة خيّمت عليه بظلها الوارف فكان له منظر جميل ضمن ذاك الإطار الاخضر . اما الطلل نفسه فيُستنتج من بعض حجارته التي لا تزال لاصقة بالاساس انه كان مستطيل الشكل ، متوسّط السعة . ولا نخاله كان هيكلاً لانه اصغر من ان يصلح للعبادة ، بل نظنه كان محطة لزائري هياكل افقا من نهر ابراهيم ، وهو على الطريق . ومهما يكن من الامر فاننا نلفت اليه نظر مصلحة الآثار في جمهوريتنا ، قبل ان ينقل اهل الجوار ما بقي فيه من الحجارة الصالحة للبناء .

نحو الساعة الواحدة بعد الظهر ، كنا نرتقي مرتفعات المجدل بين الاراضي المزروعة بطاطا ولوبياء وسائر انواع الخضراوات ، وهوارب الماء الخرّارة في السواقي . فلم نكن نتمالك الاعجاب بخصب تلك الارض وجمال تلك القمم التي

تكثر فيها اشجار الجوز ، لكننا لم نكن نتمالك ايضاً شدّ بطوننا من الجوع ، والاستناد الى عصينا من التعب ، مفتّشين عن مكان يجمع بين الماء والظلّ فنحتلّه بضع ساعات . ونحن كذلك ، اذا بحضرة الشيخ روفائيل جرمانوس يهرول نحونا ، وكان قد علم بمرورنا من هناك ، بواسطة ولديه وهما من طلبة كلية القديس يوسف . فقادنا الى منزله العامر ، وارانا مظهراً جلياً للضيافة اللبنانية بكل ما يحيق بها من البساطة والبشاشة (انظر الرسم ٣) . ولشدة رغبته في اطالة اقامتنا عنده ، اقبل يهوّن علينا مشقّات الطريق بين المجدل واللقلوق ، حتى لم يبقَ بينهما الّا مسيرة ساعة ونصف « بالكثير » . فشكرنا له ضيافته وسرنا نحو الساعة الثالثة ، برفقة ولده فيليب ، فقطعنا العاقورة حيث دهشنا حتى الذعر لدى مشهد تلك الرحلة الهائلة التي تمتدّ على مسافة ساعتين طولاً ونحو نصف ساعة عرضاً . وقد علمنا انها خربت ثلاثين بيتاً ، وجرفت جميع الارزاق في تلك الجهة من قمة الجبل حتى النهر في اسفل الوادي . وكان يتراءى للناس ، زمن الانهيار ، كثير من الاشجار الضخمة تظهر في القعر ، ولكنها لا تلبث ان تغور . اما اليوم فلا يُرى سوى الارض المقلوبة سافلها عاليها على هيئة تلقي الرعب في قلوب المتأملين . واما اسباب ذلك فترجع ، على ما نرى ، الى ان تلك الارض من طبقات مختلفة تكويناً جيولوجياً حتى لم يمكنها ان تتماسك بل بقيت منفصلة ، الى ان تخلّلت المياه فوارقها ، فزلزلت اساس الاقسام العليا ، وهبطت بها ذاك الهبوط العظيم .

وما زلنا نضرب في تلك الجبال مستغربين كيف لا نرى اللقلوق ، مع اننا مشينا اكثر من ثلاث ساعات ، حتى تأكدنا اخيراً ان ساعة الشيخ جرمانوس اكثر من ستين دقيقة ، وانها موافقة لساعات جميع من كنا نسألهم عن المسافات في رحلتنا . على ان ذاك النهار لم يكن جدّ متعب لولا عاصفة هوجاء فاجأتنا في العاقورة ، فذرّت في عيوننا تراباً كثيفاً ، وأصمّت آذاننا بصفير مزعج ، حتى خلنا ان الارض ستزحل بنا ثانية . وقد اضرّت بنا تلك العاصفة حتى في اللقلوق ، قبل وصولنا ، وذلك ان حضرة اسعد بك يونس ، مدير الدوائر العقارية ، كان قد اعدّ لنا مائدة انيقة في مضرب مزخرف ، في مصيفه باللقلوق ؛ فرمت العاصفة

المضرب وكسرت معظم الآنية . لكن ذلك لم يمنعه ان يستقبلنا مع حضرة عقيلته الفاضلة استقبالاً جمع بين اللطف والذوق ، وكان خير ما نتوق اليه بعد اتعاب ذاك النهار . فقضينا تلك الليلة في مضربه الكبير .

اليوم الثاني

اللفلوق — مرج البساط — رأي في مضار الاصطياف — بلده — بيت الشاعر — شاتين — دير حوب — أرز تنورين — الحدث — الديمان

صباح الاحد في اول ايلول ، قمنا باكرًا لا نكاد نشعر بتعب ، فاحتفل الاب مارغو ، احد رفيقينا اليسوعيين ، في المضرب بقدّاس حضره معنا اسعد بك وعائلته ورجاله المزارعون في تلك الجهات (انظر الرسم ٤) . ثم زرنا ارزاقه وما جاورها ، وكلها مزروعة بطاطا معتنًى بها كل الاعتناء ؛ وشربنا من « النبع البارد » ، ثم أشرفنا على محل يُدعى « مرج البساط » ، وهو مرعى خصب كان الامير بشير يُرسل اليه خيوله في فصل الصيف ، ثم يأتي فيتفقدها حيناً بعد حين . وبعد ان اطلعنا على خزّان متوسّط بنيه اسعد بك لجمع مياه الشتاء من تلك السواقي المتعدّدة ، فيسكنه ريّ الكثير من الاراضي الصالحة لزرع البطاطا في شهري تموز وآب ، صعدنا الى قمة خلبتنا بما تُشرف عليه من المناظر الطبيعية من صخور شاهقة ، واردية لا يُرى قعرها ، وقمم متتابعة متضائلة حتى تتلاشى بعيدًا على ستار من غيوم الافق الشاحب متصل بصفحة البحر الاغبر . فقال اسعد بك انه عازم على بناء بيت في ذاك المحل ، فتمنى احدنا لو وصلت طريق السيارات الى تلك النقطة وبُنيت فيها الفنادق يؤمّها المصطافون . فاجابه البك : انا لا اتمنى ذلك ! واذ دهشنا لهذا الجواب ، قال ما ملخّصه :

اجل ! ان الاصطياف مضرٌّ باهل هذه النواحي . واليكم البرهان : هذه الارض غاية في الخصب ، وهي مشغولة كلّها ، واهلها قانعون بعيشتهم ، لان ما يربحه اقفر فلّاح سنويًا من محصول البطاطا يكفيه لعيشة لا بأس بها . اما اذا وصلت اليها طريق السيارات ، واقبل عليها المصطافون ، فازدادت الحركة ، فانكم ترون اذ ذاك جميع الفلاحين يبيعون ارزاقهم ويشترون باثمانها سيارات يقلّون بها المصطافين . فيكثر المال بين ايديهم ، وهم يظنونه كلّه ربحًا ،

اذ لا يتنبهون لاستهلاك ثمن السيارة ، وتعطيل الدواليب ، وما شاكل . حتى اذا انفقوا كل ذلك وتعطلت ماكنتهم ، لم يجدوا سبيلاً للرزق الا طريق المهاجرة ، فيكون الاصطياف ضرّهم من حيث اردنا لهم النفع !

بعد ذلك زرنا لقلوق العرب فدخلنا مضرب شيخ الوعيان النازلين هناك ، فاستقبلنا ببشاشة ، وبسط لنا «المعتقة» وهي سجادة يشتغلونها من الصوف ، وارانا جرن البنّ المشهور . ثم انحدرنا قاصدين دير حوب ، واسعد بك يؤكد لنا انه لا يبعد اكثر من ساعة الى ساعة ونصف «بالكثير» . على اننا تأكدنا ، بعد ان سرنا نحو الثلاث ساعات ، ان ساعة اسعد بك من «ماركة» ساعة الشيخ جرمانوس ! مررنا في طريقنا على بلعه واسمها مشتق من «البواليع» الكثيرة في تلك الجهات ، وعلى بيت الشاعر التي لم نجد فيها ما يهيج الشعر ، وعلى شاتين ، حتى وصلنا الى دير حوب ، وهو من اديرة الرهبانية البلدية اللبنانية . وكان رهبانه بانتظارنا ، فحيّينا رئيسهم حضرة الاب الفاضل جبرائيل يونس ، وقبلنا ضيافته الكريمة التي بالغ فيها حتى تجاوز حدود شكرنا .

ونحو الساعة الثالثة بعد الظهر ودّعناه ، فاصحبنا باثنين من رهبانه يدلّاننا على طريق الحدث ، وسرنا صعدًا في تلك الجبال الشاهقة الى ان كدنا نبلغ القمة القائمة بين الدير وأرز تنورين . في ذاك الجبل الشاهق الاصلع ، حيث لا بيت نلجأ اليه ، ولا كهف ندخل فيه ، ولا شجرة نستظلّ باغصانها ، فاجأتنا عاصفة ولا عاصفة الامس ، واذا بالشمس تحتجب ، وبالسماء تربّد آفاقها بالغيوم الدكناء المتناقلة اطرافها بالمياه الغزيرة تهدّد من بعيد بهزيمها المرعب . وما هي هنيهة حتى شقّ البارق سواد الافق ، وتتابعت طلقات الرعد ، وانفغرت افواه السماء عن برد متتابع كالبندق الكبير ، تلته ميازيب من المطر كالجبال المتصلة . حتى غدت ثيابنا كالمغسولة جديدًا ، وخالط ماء المطر ماء العرق على اجسامنا . ونحن مع ذلك نتابع السير خوفاً من مفبّة ذاك الحادث ، اذا ما وقفنا وتعرّضنا للهواء . الى ان ادركنا الليل في غابات أرز تنورين ، وكان الراهبان قد فارقانا راجعَين الى ديرهم ، فظللنا نخبط وحدنا في تلك المجاهل متكلين على معرفة يوسف بالطريق ، ويوسف يسلكها لاول مرة في حياته . على اننا وقعنا ، لحسن

الحظّ ، على طريق مشقوقة من الحدث الى بعلبك. فتبعناها فرحين ، ولا دليل لنا سوى انها تنتهي بالحدث ... ومن هناك انتقلنا الى الديمان.

في زاوية الديوان الاسفل ، على طرّاحة وثيرة ، كان شيخ لبنان جالساً يمثل المهابة الدينية ، والعظمة المدنية . فدخلنا عرينه بخشوع ورهبة ، وقدّمنا اليه سيادة الحبر المفضال المطران عبدالله خوري . فكان البطريرك الكبير ، وقد اثقلته السنون والامجاد ، واتعبته خاصّة رسميّات ذاك النهار الواقع فيه عيد لبنان الكبير ، يجيل فينا عينين ملؤهما الحياة والعذوبة ، كأنه يبارك رحلتنا ويخفف من اتعابنا . وبعد ان شجّعنا ببعض كلمات ، اشار الى حضرة الخوري بولس طعمه الذي استقبلنا بكل حفاوة ، فقادنا الى المائدة ومنها الى غرف النوم ، وكم كنّا بحاجة الى ذلك...

اليوم الثالث

الديمان — حصرون — بقرقاشا — قاديشا — بشرّي — الارز

ظهرت سماء اليوم التالي صافية الاديم بعد تلك العاصفة ، فبدت لنا مشاهد ساحرة من سطح الديمان : هناك في منحدر الجبل ، فوق ضفة نهر قاديشا ، في معقل تزلق عنه النسور ، دير قنوبين حصن البطاركة القديم ، الذي انتقلوا اليه سنة ١٤٤٠ من دير سيدة ميفوق ، وظلّوا فيه الى عهد البطريرك يوسف الخازن ، سنة ١٨٤٨ ، وهو الذي جعل سكناه في بكركي شتاء والديمان صيفاً . ولم يكن الديمان اذ ذاك الّا داراً بسيطة . امّا هذا القصر الفخم اللائق حقاً بمقام شيخ لبنان ، فهو من آثار غبطة البطريرك الحالي . وهناك على يمين الناظر الى قمة الجبل ، تظهر حصرون ، وبزعون ، وبقرقاشا ، وعلى يساره بشرّي ، وحدشيت ، وبلوزه ، تبدو جميعها بمبانيها الجميلة ذات القرميد الاحمر ، تتدرّج بعضها فوق بعض ، غارقة بين الاشجار الخضراء الباسقة كالسرو والحور والعرعر.

قطعنا القرى الثلاث الاولى ، مجارين وادي قاديشا ، وشربنا من عين مالك في بقرقاشا وهي من الذّ ينابيع لبنان الشمالي ، حتى اذا وصلنا الى منعطف الطريق ، عند مبتدأ الوادي ، دهشنا لمنظر من الصعب على الانسان ان يجد له ثانياً . كيف لا وقد اجتمعت فيه جميع منبّهات التعجب : من قمة

ضهر القضيب الاجرد تعلو شامخة في اديم السماء الازرق الصافي ، الى غابة الارز تنبسط مرجاً فسيحاً اخضر مسودّاً في سفح جبل المكمل الاغبر ، الى قمم من النهر يتدفّق مزبداً فينثر كلله البيضاء المرنة في مجرى تكتنفه الارض الصلصالية الحمراء ؛ الى تلك القرى المنتشرة عن الجانبين كانها آثار زخرفتها يد الطبيعة بالالوان اللطيفة ؛ الى وادٍ لا يكاد يدرك الطرف اعماقه الرهيبة ، اهلت حناياه بكهوف ومغاور كثيرة لا تزال تتصاعد منها رائحة القداسة ، اذ كانت مأوى لقدّيسي الرهبان والنساك الذين تركوا للبنان ثمار فضائلهم الشهيرة ، ولذاك الوادي اسمهم المقدّس فدُعي « وادي قاديشا »

وعلى تلك الطريق الجميلة ، في فم الوادي ، شاهدنا اجلى مظهر لتعاون الطبيعة والصناعة العصرية الا وهو المعمل الجديد لتوليد الكهرباء من نهر قاديشا ، وقد قامت به شركة قاديشا الوطنية ، على ما وقف في وجهها من الصعوبات ، فذلّلتها ونجحت . وها ان انوارها الكهربائية تضيء اليوم مدينة طرابلس ، بعد ان انارت القرى المجاورة في لبنان الشمالي . اما المياه فتصل من النهر الى المعمل اولاً بواسطة نفق يبلغ طوله الكيلومتر يصبها في خزّان طوله مائة متر بعرض معدّله نحو الاربعة الامتار ، وعمق معدّله نحو الثلاثة الامتار . ومن هناك تنحدر في قناة طولها ستمائة متر ، وقطرها سبعون سنتيمتراً ، فتدير آلتين تولد كل منهما قوة ١٢٠٠ حصان .

لم تدهش اذ شاهدنا قرب المعمل ، حضرة الشيخ يوسف عيسى الخوري ، وقد اقبل لملاقاتنا من بشرّي ، فاتى ببرهان جديد على ما نعهده فيه من الحمية والمروءة والاخلاص . وقادنا الى منزله العامر حيث عرّفنا الى اهله الكرام ، الذين اهتموا كلهم باستقبالنا وإضافتنا .

ومن هناك سرنا صُعداً الى غابة الارز ، والشوق لمرأى تلك الشجرات الجبّارة ، الشاهدة على البشرية منذ الوف السنين ، يحملنا فنطير مسرعين على الرغم من شدّة الحرّ ، ووعورة الطريق . لاننا لم نشأ ان نتّبع طريق السيارات الجديدة ، حتى لا نتأخر زمناً ، ولو قليلاً ، عن مشاهدة أرز الربّ .

(لها بقية)

حول المكسى — الحجاج الى مكة — نظرات
في الموسيقى الشرقية

للاب توفل البسوعي

حول المكسى

عن نشرة جامعة كونيتسبرغ الرابعة لهذا العام بتوقيع ماكس لوهر (ص ٦٧ – ٦٨)

ما هي حالة الوطن القومي اليهودي في الوقت الحاضر ؟ ان نظرنا اليه من وجهته السياسية ، تحققنا انه ليس بوطن يهودي محض ، ومن المستحيل ان يكون يهودياً محضاً . وهذا ما يعترف به الصهيونيون انفسهم . ان المصلحة الوطنية في فلسطين لا تستطيع ان تتوحد الّا بادماج العنصرين اليهودي والعربي بقومية واحدة . على ان القضية تمسّ مشكلاً عسيراً حلّه . قال الدكتور وايزمن : « امامنا مثلث متصلة زواياه ببغداد والشام والقاهرة » وان الحرب العظمى والسياسة الانكليزية قد ايقظت قضية اتحاد البلاد العربية المترامية الارجاء من العراق الى مراكش ، ومرقع سورية وفلسطين من هذا الجسم الكبير كموقع العضو الحيوي من الانسان . ولذلك لم يحجم الصهيونيون انفسهم عن القول ان مستقبل الصهيونية الفلسطينية بمعظمه ، ان لم نقل بكله ، انما هو منوط بحسن التفاهم مع العرب .

على ان المسألة لم تتعقد ، وبريطانية بانتدابها قابضة على زمام الامر في الوطن اليهودي . وهذا الوطن ، تجاه الحقّ العام ، ليس هو في الحاضر الّا مقاطعة صغيرة متفرّقة العناصر موقتها في فلسطين ، وفلسطين هي مستعمرة التاج البريطاني ، ومفوّضها السامي هو موظف من قبل التاج ، والحكم والادارة والحل والعقد

الرسم ٤: امام المغرب في اللقلوق

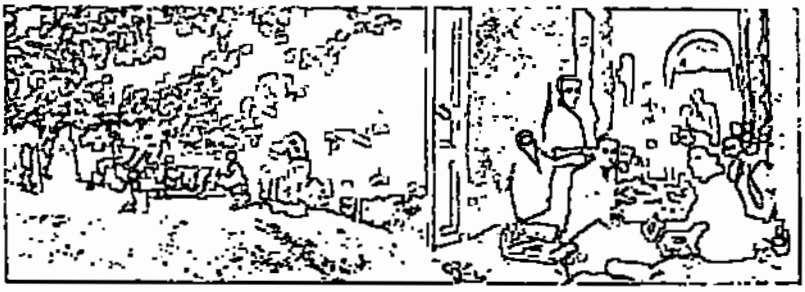

الرسم ٣: على الغداء في المجدل

الرسم ١: في اعالي بلحس

الرسم ٥ : امام بركة الارز

الرسم ٣ : امام الباب الروماني بين قرطبا وجدل العاقوره

الرسم ٦ : على جذع احد جبابزة الارز

في الوطن اليهودي مرجعه نهائياً الى الانكليز . هذا ، ومعدل رجال الشحنة الغير الانكليز ، من يهود وعرب هو كمعدّل ١٢ يهودياً بمئة عربي . وهذا المعدّل يسقط على الحدود في شرقي الاردن الى ٥ بالمئة ، وللدولة المنتدبة الحق باستخدام الطرق العامة ، ومسالك السيارات ، والخط الحديدي ، والمرافئ ، في سبيل المصلحة العسكرية . وقد وضعوا يدهم في بناء مرفأ حيفا ليجعاوه في الغد من اعظم مرافئ الساحل السوري والفلسطيني ، والظواهر تشير بنيات الانكليز في ان يجرّوا بترول العراق الى البحر عن طريق حيفا .

وليس بخافٍ على الصهيونيين ما لمصالح انكلترة من الفوائد الجمّة بالبقاء في بلادهم ، وهي في جوار ترعة السويس . لكنهم ادركوا ايضاً ان بريطانية العظمى لن تتردد في الاحجام عن حمايتهم اذا ما الجأتها الظروف الى ذلك .

وقضية الوطن اليهودي هيّنة تجاه ما يخشى الوقوع فيه من العراقيل اذا ما فتحت القضية العربية الكبرى على مصراعيها . وليس ما سنمناه من الحوادث التي جرت حول المبكى ، سنة ١٩٢٨ ، في عيد الغفران عند اليهود ، وما عرفناه عن نتائجها في داخل البلاد ، لينقض ما قلناه عن امكان اعراض الانكليز يوماً عن حماية الوطن اليهودي .

الحجاج الى مكة

جاء في المجلة الجغرافية الانكليزية (ايلول ١٩٢٩) مقال عن الحج الاسلامي ، موقّع باسم « الدون روتر » قال فيه صاحبه :

ان عدد الحجّاج المسلمين من سائر الامم يزيد بحسب ما يلاقونه من التسهيلات ، او من المصاعب ، في توجههم الى مكة . وان مصر هي في مقدمة البلاد الاسلامية عدداً بارسال مسلميها الى الحج ، وقد يبلغ عددهم سنوياً زهاء ١٥,٠٠٠ ، ولا عجب لان المصري المسلم من اي نقطة رحل قاصداً الى جزيرة العرب ، وجد ميقاتاً للسفر معيناً ووسائل للنقل تحمله الى مكة ، والى المدينة بسرعة تمكنه من القيام بفرائض الحج باقلّ من شهر واحد .

الى ان يقول :

ان عدد الحجاج الافغان القاصدين الى مكة وافر . وهم رجال خشان الطبع اقرب الى البدو خَلقاً وخُلقاً . وقد دخلتُ احدى مكاتب مكة فوجدت فيها

افغانياً يجادل صاحب المكتبة جدالاً محتدماً باللغة الفارسية ، وفهمت منه انه جاء عن طريق العجم ماشياً من غير ما يتزود لسفره بزاد . ولما بلغ الى الرياض توفق الى ركوب جمل في قافلة الامير فيصل نجل ابن السعود . واكثر الحجاج الافغان يأتون مكة عن طريق البحر من قراشي .

اما الحجاج العجم فعددهم قليل . وقد يراقبهم اهل مكة عن كثب لما يعلمون من ترفضهم وبغضهم للسنيين . وحدث ان بعضهم نجس الكعبة .

وعدد الحجاج من مراكش والجزائر وليبية قد يبلغ ١٠,٠٠٠ اجمالاً ، وكذلك عدد الوافدين من الشام وتركية والبلقان . وعدد الحجاج من الاكراد واهل بخارى ، ومن التركمان ، يبلغ الخمسة آلاف ، ومن الهند الصينية الفاً . ولا ينفك الحجاج يضربون في اواسط افريقية قاصدين الى بلاد العرب من السنغال ، والغينه ، وسيراليونه ، وليبارية ، عن طريق السودان الافرنسي ، ونهر النيجر ، والساحل الذهبي ، شرقي بلاد العبيد . فيتحركون على مهلهم ويرتزقون اما بالتجارة او بالخدمة او بالتسوّل . وقد يمرّ الالوف منهم بسوق مدينة كانو الاكبر . وعددهم يزيد مع توغلهم في البلاد الاسلامية الهمجية الواقعة جنوبي بحيرة تشاد . فتموج موجتهم ترا الى الشرق . واغلبهم مشاة ، وبعضهم يركبون الابل ، فيسيرون ببطء ويكدّون سحابة اشهر الى ان يبلغوا نهر النيل او احد سواعده ، بين جوندوكورو ودنقلة . ويهلك منهم كثير على الطريق ، واكثرهم يصطحبون نساءهم في اسفارهم ، فتلد الامهات على الطريق ، ويحملن اطفالهنّ ، ويواصلن والرجال الرحيل مدة سنة او سنتين او ثلاثاً . فاذا شرب الحجاج من ماء النيل وترطبوا ، قطعوا النهر ، ثم واصلوا سيرهم عن طريق بلاد السودان الانكليزية المصرية ، فالايريتره الايطالية ، او عن طريق الحبش والصومال حتى البحر الاحمر . فيركبونه ويسيرون والشاطئ العربي الى الحجاز ، او السير ، او اليمن حسبما تدفعهم الرياح ، والموج البشري من افريقية لا ينقطع ايباباً ذهاباً ولا يزال يزداد في البلاد المجاورة للبحر الاحمر في موسم الحج . ومن المحال تحديد عدد الحجاج الزنوج سنوياً الى مكة . والوف منهم يموتون على الطريق قبل دخولهم الجزيرة ، والوف يموتون في الجزيرة قبيل

بلوغهم غطة الآمال . امّا الذين يمرّون بجدّه او بينبُع فعددهم قليل بالنسبة الى المجموع . اينما دفعت الرياح المركب الشراعي على سواحل البحر الاحمر ، هناك يترّل البحّارون ركّابهم ، وباشارة ايديهم يدلّونهم على وجهة مكة ويتركونهم . في حي مكة المسمى المسفالة اكواخ حقيرة مركبة من جلود الحيوانات ، وتنك البترول ، وبعض الاخشاب ، هناك مقام الزنوج غالباً ، وقد لا يقلّ عددهم سنوياً عن الاربعين الفاً .

نظرات في الموسيقى الشرقية

عرفت الشهباء في اواخر القرن الماضي ، وفي مستهلّ هذا القرن اجواقاً من الملحنين ، ابناء الفن ، كان الاجانب يأتون عن بعد لسماعهم . وبلغنا عن حضرة الاب كولنجت صاحب المقالات العلمية في الموسيقى الشرقية انه لم يطرب لسماعه آلات الطرب والغناء الشرقي في مدينة من مدن الشرق طربه لسماع اجواق المغنين في حلب . وبين المغنّين الحلبيين سمعنا الشوّا صاحب الكمنجة . والشوّا رزق ابناً سمّاه سامي ، فنشأ وتعلم على ابيه ، وسافر الى نيويورك فاطرب الناس فيها من شرقيين واجانب ، وتحدث الى بعضهم في اثر الموسيقى الشرقية ، فروت حديثه مجلة السيدات والرجال (١٩٢٩ : ص ٢٤٧-٢٥١) ورويناه عنها مناسبة لمرور الاستاذ الشوّا حالياً في بيروت .

سأله المحدّث عن تأثير الموسيقى الشرقية في الافرنج فأجاب :

« لكل امرىء من دهره ما تعوّدا » . فكما اننا لا نستلذّ الموسيقى الأفرنجية كذلك الافرنج لا يستلذون موسيقانا . واذا تعودنا سماع موسيقاهم طربنا لها . وهم كذلك . لما كنت في نيويورك اجتمع بي بعض مشاهير الموسيقيين هناك لكي يسمعوا موسيقى الشرق . وقد جاءني احد مشاهيرهم خصيصاً لكي يتفهم دخائل موسيقانا . فبعد ان اسمعته بعض قطع سألته رأيه . فقال للمترجم بيننا : ليس لهذه الموسيقى « عيش » عندنا اذ لا يمكن ان يحتملها الشعب الاميركي . فقلت . قل له : هل يسمح لي ان اسمعه هذه القطعة الاخيرة كل يوم مرة واحدة فقط مدة اسبوع ؟

فقال : لقد غلبني بالحجة . اخاف اني اذا سمعتها سبع مرات اعشقها . لا بأس ان نمتحن الامر من قبيل التحقيق الفني .

قال الاستاذ سامي : وبالفعل كنت اجتمع بذلك الاستاذ الموسيقي الفنّان

كل يوم واسمعه القطعة نفسها مرة . وما انتهى الاسبوع حتى صار الرجل يهتز لها طرباً واعترف بان في الموسيقى الشرقية ما يهز الجوانح اذا اعتيد سماعه . ولقد كان الاميركان ينفرون من الموسيقى الروسية كثيراً . ولكن أتيح لها ان تعزف كثيراً في اميركة فاصبحت اخيراً عشيقة الشعب الاميركي اكثر من كل موسيقى . حتى انها عاشت في اوربة ايضاً .

ثم سأله المحدّث عن رأيه في استعمال العلامات الموسيقية لتقييد الالحان الشرقية ، فاجاب :

لا انكر فضل العلامات على الموسيقى عموماً . واذا لم يكن لها من فضل سوى ضبط الالحان وحفظها من الضياع واسترشاد الموسيقيين بها عند النسيان ، اذا لم يكن لها من فضل سوى هذا فكفى . وهي من الوسائل التي تخفف العناء على طلبة الفن .

قلت : ولكني لا اعتقد ان نقل اللحن من استاذ الى تلميذ او من عقل الى عقل عن طريق النظر يكمل نقل الروح الموسيقية معه ، لانه لا يخفى عليك ان آلة الالحان هي العصب السمعي لا العصب النظري ، والمطبعة التي تطبع بها الالحان في الدماغ هي المركز السمعي لا المركز البصري . فاقتباس اللحن من المعلم الى المتعلم عن طريق البصر انما هو طريق طويل غير مباشر فيضيع قسماً كبيراً منه في النسخ ويشوهه . ولذلك اعتقد ان اقتباس الالحان بالسمع اضمن لاقتباس روحها من الاقتباس بالبصر بواسطة العلامات . هاك بشرفك الذي سمعناه الآن . هل يمكن اي عازف مهما كان بارعاً ان يأخذه عن العلامات ويعزفه كما عزفته انت من غير أن يسمعه على اصله منك او ممن تعلمه منك او من الفونوغرافات كما امليته انت ؟

فابتسم الاستاذ ابتسامته اللطيفة المعهودة وقال : اني معك في هذه . واليك برهاناً دامغاً عليه : أخذ قطعة من رواية تابيس اربعة اساتذة عظام وهم هيفس وكبرينغ وكليزر وميشهلسن ، اخذوها جميعاً عن كتاب مطبوع . كل على حدة . وملأها كل منهم للفونوغراف . فاذا سمعتها شعرت بالفروق بين جميعها . لا تجد واحداً منها مطابقاً لآخر بالروح مهما طابقه في الوقع . وهذا مما يؤيد قولك ان العلامات تضبط اللحن ولكن لا تضبط الروح الموسيقية . لان هذه

تأتي عن يد العصب السمعي.

قلت : اذا كان الامر كذلك في ناحية واحدة فما قولك اذا كان افرنجي مثلاً يعزف بشرقك بحسب العلامات ؟ لا ريب انك لا تستطيع ان تسمعه . الا تذكر اننا كنا منذ عامين في منزل احد الاصحاب في سهرة ساهرة جمعت جمهوراً من الكرام . وكانت هناك سيدة سورية جميلة الصوت وقد درست فن الغناء درساً متقناً في اميركة وعزمت ان تتم علمها في ايطالية . وكان مما استمعناه حينئذٍ بعض طقاطيق سورية ومصرية . فكان هيكل اللحن شرقياً ، ولكن الروح افرنجية . فكم كان مستهجناً ان نسمعه . أليس مستهجناً أن تسمع طقطوقة « حوّد من هنا » مثلاً تغنى على المقامات التي وضعت لها ولكن بلهجة افرنجية بحتة ؟

فقال : لا اخالفك في ذلك.

قلت : اذاً ارجو منك ان لا تنصح طلبة الفن ان يعتمدوا كثيراً على العلامات في الاقتباس بل ان يعوّلوا بالاكثر على السمع لكي تتحرك فيهم الروح . ومن حسن الحظ ان الفونوغراف الآن يقضي هذه الحاجة بعض القضاء للبعيدين الذين لا يتسنى لهم ان يسمعوا جوقات الغناء هنا.

قال : حقاً فليحيَ اديسون.

قلت : ولكن حاذر ان تعطي الفونوغراف اكثر من حقه . لانه يستحيل ان يسمع البعيدون كنجة الشرا كما نسمعها نحن ولا غناء ام كلثوم كما نسمعه ، فنصف الطلاوة والروح تبتلعها طبلة الفونوغراف كالثارة لاديسون او جزية له . وهو جدير بهذه الجزية لو كانت تنفعه . ولكن الناقص خير من العدم.

وسأله : هل الموسيقى الشرقية ارقى مما كانت عليه منذ ٥٠ او ١٠٠ سنة مثلاً. فاجاب:

لا.لا انكر ما ادخل عليها من التفنن.ولكن ليس كل تفنن كان ارتقاء. بل كثير منه ردّ الموسيقى الشرقية الى الوراء . لقد اهمل اساتذة الآلات والغناء والتلحين باب التوشيح وهو اعظم وافخم باب في الالحان الشرقية وبكل اسف استعاضوا منه بباب الطقاطيق وما هي الا خيالة الفن . ابن اعظم طقطوقة من احقر توشيح.

قلت : والله اصدقك القول يا سامي . اني اطرب بالتواشيح التي تغنيها الجوقة قبل صعود المغني او المغنية الى المنصة اكثر من جميع الطقاطيق.

قال: لم تسمع الّا ابسط التواشيح ، واكثرها قد تشوه . . . بالك لو سمعت التوشيح الملقب « حيّ »

قلت : ما هذا ؟

قال : مطلعه :

اسق العطاش تكرما فالعقل طار من الظما

يستغرق ضربه وغناؤه نحو ٤ ساعات ، ويستلزم جوقة مؤلفة من عدة آلات وعدة مغنين مختلفي الاصوات . فاذا سمعته على اصوله استغربت لانك ترى فيه الطلّ ، اي الارمونيا (Harmony) ، اعظم وافخم جداً مما تسمعها عند الافرنج . وحينئذٍ تعلم ان الارمونيا كانت موجودة في الشرق قبل ان توجد في الغرب.

ثم قال : قبيل الحرب كان اثنان من سراة المصريين الولوعين بالغناء في سورية فبلغ اليهم ان المرحوم والدي سيحيي حفلة طرب نادرة في حلب. فاسرعا الى حلب وحضرا تلك الليلة . ولما عادا الى مصر زارني احدهما وجعل يصف لي تلك الحفلة التي حوت على قوله جمهوراً عظيماً كان اعجوبة في هدوء. قال: « ثم ابتدأت الآلات (وعددها بضع عشرة) بغتة بمدخل ملائكي اخذ لبّنا فكنا انا وصاحبي كأننا في سكر . ثم طلع المغنون بالاصوات المختلفة بتوشيح « حيّ » . فشعرنا كاننا قد انتقلنا الى عالم الغيب. اذا كانت موسيقى الملائكة حول العرش الرباني هكذا فأحرِ بجميع الناس أن يتقوا الله لكي يؤذن لهم في الآخر ان يسمعوا هذه الموسيقى . فكفى بها ثواباً في الآخرة. قال: انقضت اربع ساعات في ذلك الموشّح ونحن لا نظنها اكثر من نصف ساعة . كانت السحر ، الذي لعب بالالباب ، لما تقلب فيها من الانغام ، وتجاوبت بها الآلات وتناجت الاصوات باساليب يستحيل وصفها.»

قلت : لماذا يا سامي لا تؤلف جوقة وتخصها باسماع الجمهور توشيح «حيّ» وامثاله ؟ فهذا ضرب من الموسيقى لا يعرفه الجمهور ، والحق على اساتذة الفن

لانهم اغضوا عنه . فلو سمع الجمهور هذا الغناء الساحر لعدلوا عن الطقاطيق السخيفة.

فابتسم واغضى نظره ثم قال : ان جمع جوقة كهذه وضبطها وتعليمها توشيحاً كهذا يحتاج الى استاذ له سلطان دولة وصولة سلطان . وداعيك كما تعلم . . .

قلت: والله لقد اهجت بلابلي بتوشيح « حيّ ». فما العمل لكي نسمعه؟

قال : بكل اسف لا يمكن سماعه الّا من جوقة متعددة الآلات والاصوات لان فيه طنيناً (ارموني) كما قلت . فلا استطيع ان اسمعك منه الّا تاريخه فهو مطرب ايضاً .

شذرات

الى اين المسير يا سيارات ؟

لا يأتينا التقدّم العصري بالبركات مجّاناً ، لانه يساوم البشرية ويتقاضى على رقيّها تضحيات ثمينة ، من جملتها تلك النفوس التي تذهب ضحايا السيارات ، فان عددها ، في الولايات المتحدة الاميركية وحدها ، يقارب الاثني عشر الفاً في السنة . وهذا المعدّل يساوي عدد ما يحصونه من القتلى بعد المواقع الكبرى ، او على اثر انتشار الاوبئة الفتاكة . نعم ان الاشياء في الولايات المتحدة تتضخم حتى تبلغ اقصاها في مختلف انواعها ، ومنها النكبات . ولكن هوذا بلجيكة فانها على عدد سكانها الثمانية ملايين ، ورزانة اخلاقهم ، تعدّ يومياً زهاء ٢٠٠ حادثة كبيرة او صغيرة تحدثها السيارات . وفي جمهوريتنا الصغيرة لا نكاد نفتح جريدة الّا ونرى حوادث الرهس والصدم والانقلاب تزداد شيئاً فشيئاً . حتى ضاقت علينا مذاهبنا في البلاد التي نعتها بالمتمدنة وفي المدن الكبيرة خاصة . وعمّا قريب سوف لا يجرؤ المرء على الخروج من بيته قبل ان يكتب وصيته الاخيرة . قالى ابن المهرب ا كان النساك المسيحيون في سالف الزمان يقصدون

الى البراري فراراً من العالم وضوضائه . وها ان البراري والمقاور تغصّ اليوم ، على سعتها ، بالسيارات . وقد بلغنا عن ابن سعود انه لما عاد الى الرياض عاصمته منذ بضعة اشهر ، وجد بوجهه مئة سيارة كانت قطعت مسافة ١٦٠ ميلاً لملاقاته . نشرت هذا الخبر جريدة مكة الرسمية لكنها لم تعلق عليه خواطر الجمّالين وآراءهم في هذا الشأن . هذا وان الاعداد التالية تمكننا من الوقوف على حركة زيادة السيارات في ٦٢ قطراً من الاقطار التي حصلنا على احصاءاتها الرسمية . فان مجموع السيارات فيها يبلغ ٣١ مليوناً ، وهي تسير على مسافة تسعة ملايين ونصف مليون كيلومتر من الطرق المعبّدة لها . وقد بلغت نفقات شقّ تلك الطرق وتصليحها وتمديدها مليونين ونصف مليون دولار . اما ما يدخل الخزينة من الضرائب على السيارات فيبلغ ١١٣٥ مليوناً في نصف تلك الاقطار . على اننا نفتش عبثاً بين هذه الاحصاءات عن عدد الضحايا المقدّمة لشيطان السرعة . واغلبها اولاد صغار ونساء وشيوخ . فلو عرفنا عددهم بالتأكيد ، لاخذتنا الرعشة لعلمنا ما بلغت اليه الاستهانة بقيمة الحياة البشرية . ولعل الحرب الكبرى لم تفتك بالناس اكثر من فتك السيارات بهم . لقد الفنا في طلبة جميع القديسين ان نسأل الله النجاة من الطاعون والحرب . وعمّا قليل سوف نقول : « من خطر السيارات ، نجّنا يا رب ! »

من حديث السيارات ايضاً !

لا يخفى ان عدداً لا يُستهان بـه من حوادث السيارات مسبَّب عن ثقب الدواليب في حال السرعة . وكثيراً ما تكون هذه الانثقاب ناتجة عن وجود مسامير في الطرق تنشب في كاوتشوك الدولاب الخارجي ، فتخرقه الى دولاب الهواء المضغوط فتعطل السيارة . وهذه طريقة يستعملها من شاء الانتقام من احد السوّاقين مثلاً ، فيذر في الطريق التي سيمرّ عليها عدداً من مسامير البيطرة المحدّدة الرؤوس . وقد لجأ اليها بعض سوّاقينا ، لما اضربوا عن السير احتجاجاً على قساوة رجال الدرك والشرطة في معاملتهم اياهم ، في اواخر حزيران الماضي . فاخذوا يلقون المسامير على الطرقات العمومية انتقاماً ممن لم يشاركهم في ذلك الاضراب العامّ . اما بعد اليوم فقد يصبح من الصعب عليهم استعمال هـذه

الطريقة ، فقد بلغنا مؤخرًا ان مصلحة الطرق المكسيكية وجدت واقياً من خطر المسامير ، فاخذت تستعمل ماكنة ممغنطة لالتقاطها من الشوارع والطرق. ولم ينقض الشهر الاول على استعمالها حتى التقطت نحو ٧٦٠,٠٠٠ مسمار ، مبطلةً بذلك نحو ٣٥,٧٠٠ حادثة في كل ميل استعملت فيه الماكنة الجديدة.

من شروط الزواج في تركية الجديدة

ذكرت جريدة « ام القرى » ان الحكومة التركية اصدرت مرسوماً يقضي بان لا تتم موافقة الحكومة على اي عقد من عقود الزواج بين شخصين ، ما لم يحمل الشخصان شهادة مفتش حكومي خاص يشهد فيها بانه قد اختبرهما فوجد أنهما يعرفان الحروف الابجدية اللاتينية وانهما يجيدانها قراءة وكتابة . وهذه احدى وسائل تركية لنشر الحروف اللاتينية بين رعاياها.

المطبوعات في فرنسة وانكلترة واميركة في عشر سنوات

نشرت «المجلة الفرنساوية» لائحة بعدد الكتب الجديدة التي طُبعت في مدن فرنسة وانكلترة والولايات المتحدة في العشر السنوات الاخيرة ، فاذا هي كما يلي :

سنة	فرنسة	انكلترة	الولايات المتحدة
١٩١٨	٤ ٤٨٤	٧ ٧١٦	٩ ٢٣٧
١٩١٩	٥ ٣٦١	٨ ٦٢٢	٨ ٥٩٤
١٩٢٠	٦ ٣١٥	١١ ٠٠٤	٨ ٤٢٢
١٩٢١	٧ ٦٢٦	١١ ٠٢٦	٨ ٣٢٩
١٩٢٢	٨ ٥١٥	١٠ ٨٢٤	٨ ٦٣٨
١٩٢٣	٨ ٧٨٤	١٢ ٢٧٤	٨ ٨٧٣
١٩٢٤	٨ ٤٦٤	١٢ ٧٠٦	٩ ٠١٢
١٩٢٥	١٥ ٠٥٤	١٣ ٢٠٢	٩ ٥٧٤
١٩٢٦	١١ ٠٩٥	١٢ ٧٩٩	٩ ٩٢٥
١٩٢٧	١١ ٩٢٢	١٣ ٨١٠	١٠ ١٥٣
١٩٢٨ على التقريب	١٤ ٠٠٠	١٥ ٠٠٠	١٢ ٠٠٠

فنرى ان حركة المطبوعات تقدمت في فرنسة اكثر من غيرها فكانت فيها الزيادة تعادل ٣١٢,٢٢ ٪ ، وفي انكلترة ١٩٩,٤٠ ٪ ، وفي الولايات المتحدة ١٢٩,٩١ ٪ . واذا قسنا هذه المطبوعات على ايام السنة كان لنا في فرنسة ٣٨ كتاباً في اليوم الواحد ، وفي انكلترة ٤١ ، وفي الولايات المتحدة ٣٢.

وقد نشرت المجلة ذاتها احصائية لتقسيم الكتب المطبوعة في فرنسة من حيث مواضيعها ، فكان فيها لسنة ١٩٢٨ ، نحو ٧٠٠٠ رواية قصصية ، و١٠٠٠ مجموعة شعرية ، و١٥٠٠ مجلد من مطبوعات الترف والزخرف ، و٤٠٠٠ مجلد في موضوعات شتى في العلم والتاريخ ونحو ١٥٠ ترجمة حياة.

هذا وقد يتساءل القرّاء ، امام هذه الارقام الضخمة ، هل يمكن لاصحاب المطابع وارباب النشر ان يبيعوا كل هذه الكتب ؟؟؟ امّا الجواب فظاهر من ازدياد عدد المطابع ، واتساع محلّات النشر سنة فسنة . على انّ هناك فريقاً من القرّاء لا يسرّهم اتساع هذه الحركة ، الا وهم النقّاد الذين يُجبرون على اكثر قراءة هذه المنشورات ، اذا ارادوا القيام بمهمتهم حق القيام . فلنترك لهم ، ولنأمل اننا نرى قريباً اشباه هذه اللوائح في ما يخصّ المنشورات العربية.

بيروت مدينة الطلبة

اطلعنا على احصاء عدد الطلبة للسنة المدرسية الفائتة في جامعتي بيروت الكبيرتين ، وهما كلية القديس يوسف والجامعة الاميركية ، فرأينا ان ننشره ليطّلع قرّاؤنا الكرام على ان بيروت لا تزال ، كما كانت منذ القدم ، مدينة العلم ومقصد طلّابه . وقد خصصنا الجدول الاول بترتيب الطلّاب حسب اديانهم ، والجدول الثاني بترتيبهم حسب اوطانهم.

كلية القديس يوسف		الجامعة الاميركية
حسب الاديان ٩٢٠	كاثوليك	٦٣
٢٠٥	مسيحيون من باقي الطوائف	٥٢٣
١٦٦	غير مسيحيين	٥٢٣
١٢٩١	المجموع	١١٠٩

كلية القديس يوسف		الجامعة الاميركية
حسب الاوطان ٩٩٧	من لبنان وبلدان الانتداب الفرنساوي	٣٩٦
٩٨	من بلاد آسية الغربية	٥٥٥
٦٣	« « افريقية الشرقية	٥٦
٣٧	« « اوربة الشرقية	٤٦
٦٧	من فرنسة	١٠
١٢	من سائر بلاد اوربة	٢٠
١٧	من اميركة	٢٦
١٢٩١	المجموع	١١٠٩

فترى ان في الجامعتين وحدهما ٢٤٠٠ طالب فضلاً عما في المدارس الثانوية والابتدائية.

اما عدد الطلبة الشرقيين من غير مناطق الانتداب الفرنساوي فهو على ازدياد متواصل . وهذا جدول نقابل فيه بين عددهم سنة ١٩٢٨ ، وعددهم في هذه السنة ، وذلك في جميع مدارس بيروت من ابتدائية وثانوية وعالية:

	١٩٢٨	١٩٢٩
من العراق	١٥٠	٢٦٠
من فلسطين	٢١٠	٣٩٠
من شرقي الاردن	٧	٢٢
من مصر	٣٦٠	٤٥٠
المجموع	٧٢٧	١١٢٢

على عهد الامير

لماذا ؟

رواية لبنانية تاريخية

بقلم فؤاد افرام البستاني

وقد يكون من الابناء ضحايا في سبيل آبائهم
من حيث لا يعلمون

الفصل الحادي عشر

عرس غريبين (تابع)

— ضع عشرة اكياس في الخزينة الداخلية ! وهيئ خمسين كيساً ترسلها للسلطان سليم في الشهر المقبل . وخبئ خمسين كيساً في القبو الأسفل . واترك عشرين كيساً للنفقات .

— ولكن الواردات لا تكفي يا مولاي . فهي لا تبلغ ، بعد طرح النفقات ، سوى الثمانين كيساً .

ففكر الجزّار قليلاً ثم قال بصوت بدأ التهدّج يظهر فيه :

— وكم ارسل ابنا الامير يوسف ؟

— لم يرسلا شيئاً الى الآن ، بل وعدا بدفع خمسين كيساً .

فاحتدم الجزّار والقى ماسورته صائحاً :

— وعدا ! وعدا ! مواعيد ، مواعيد . ذاك يعدني كثيراً ! وهذان يعداني اكثر والنتيجة ؟ لا شيء ! أوَلا ازال العوبةً في يد اللبنانيين يهزأون بي كيف شاؤوا ، ومتى شاؤوا ؟ . . . عندي ثلاث مقاطعات لا تنفكّ ترسل اليّ محتوياتها : فقاطعة صفد تسدّني فضةً وذهباً ، وجبل نابلس يسدّني رصاصاً وبارودًا ، وجبل لبنان يسدّني كذباً ونفاقاً ! . . .

ثم سكت ، فاحترم حاييم سكوته .

عند ذاك دخل اكبر حجابه ، سليم آغا ، وقال:

– الشيخ غانم بالباب يستأذن بمواجهة مولاي !

فاطرق الجزّار مدة ثم قال :

– كذبة جديدة ايضاً . ادخله لنرى ما يحمل

ثم مسح لحيته ، ونفض ماسورته ، والقى نظره على الباب . فتقدّم غانم بكل لطف ، وقبّل يده ، وقال:

– ليعذرني مولاي على ازعاجي خاطره في مثل هـذه الساعة . ولكني جئت اؤدّي رسالة من ولده الامير بشير ، ولم اشأ ان اتأخر في ذلك.

فهزّ المولى رأسه وقال ببرودة :

– وما هي تلك الرسالة المهمة ؟

فاومأ غـانم الى فرحات الذي كان لا يزال امام الباب ، فتقدم حامـلاً الكيـس . فتناولهما غانم وقدّمها الى الجزّار قائلاً :

– هي هذا المبلغ الزهيد ... خمسون كيساً لا غير ارسلها الامير خدمة بسيطة ، راجياً من الطافكم ان لا تعتبروها على الحساب ، بل على سبيل هدية صغيرة على قدره لا على قدر سعادتكم . اما ما بقي لسعادتكم في ذمّتـه من المال ، فيتشرّف بارساله ، ان شاء الله ، في القريب العاجل.

كانت العاصفة الليلية قد انتهت قبيل الفجر بسرعة عجيبة وعقبهـا هدوء تامّ فبدا البحر صافياً كالزيت ، كما يقول البحّارة ، والهواء ساكناً لا يحرّك شجراً ولا يثير غباراً. وقد يكون في الطبيعة مثل هذا الانتقال المفاجئ ... اما عاصفة الجزّار فكانت اقصر مدة ايضاً ، وتبعها هدوء وسكون غريبان . فمن الحنق والازباد انقلب الى الدعـة والتسكون ، ومن بُركتي دم تفوران غضباً وحقداً تحوّلت عيناه الى مرآتين تلمعان صفاء ولطفاً . كل ذلك مفعول الخمسين كيساً ... فتناولها جذلاً ، وقذف بها حاييم الذي كان لا يزال مطرقاً يرتجف ، منتظراً بين لحظة واخرى امراً بقطع يده او رجله ، بعـد ان صام الجزّار اذنه ، وجدع أنفه ؛ ثم قهقه قائلاً:

— هذا مطلوبك ! فقم الى لعنة الله !

فتشدَّد حاييم وقبَّل يد مولاه . ثم حمل المال وخرج ، وعلى شفتيه ابتسامة من شاهد ملك الموت على خطوة منه ، وافلت من براثينه .

امَّا الجزَّار فاشار الى غانم بالجلوس ، فجلس وهو يفكر في اسلوب يكلم به المولى عن ابنَي الامير يوسف . ثم امر له بالقهوة ، والماسورة يدخنها في كشكه الخاصّ . والتفت اليه بعطف فقال :

— هدية ولدنا الامير بشير مقبولة دائماً . فبلِّغه دعاءنا بنجاحه الدائم ، وبلِّغه ايضاً ان لا صحة لما سمعه عن اني طلبت ابنَي الامير يوسف . . .

فبهت غانم من هذه المفاجأة غير المنتظرة ، واراد ان يظهر الاحتجاج . فرفع الجزَّار يده مشيراً بالصمت ، وتابع :

— اذاً بلِّغه ان لا صحة لما سمعه من اني طلبت ابني الامير يوسف . لاني لا اريد حاكماً على الجبل الَّا الأمير بشير . امَّا خروج الاميرين مع كاخيتهما من دمشق فكان المقصود منه ملاقاة عبدالله باشا القادم من الحجّ . فاشرح له كل هذا وطمئنه . ثم قلْ له ان لا يتأخر بتقديم ما لنا عليه من المال .

فوقف غانم شاكراً للجزَّار نعمه العديدة ، ومكرِّراً مواعيد الأمير . ثم رأى من الموافق عدم اطالة تلك المقابلة . فقبل يد المولى واستأذنه بالانصراف .

وعند وصوله الى البيت ، اجاب الاميرَ حالًا بتفصيل كل ما جرى ، وهو ذاهل لما تحققه من قوة فراسة الجزَّار ومقدرته على ضبط الامور ومعرفة خفايا الضمائر ، مع شدَّة حرصه على المال .

الفصل الثاني عشر

تحت اسوار عكا

انقضت سنة جديدة من حياة غانم في عكا ، والامير بشير لا يزال يماطل في دفع الميري ، والجزّار لا يزال يماطل من جهته في اطلاق سراح الرهينة ، وابنا الامير يوسف ومدبّرهما لا يزالون في نواحي عكا يترقّبون الفرص لاستمالة الباشا والحصول على الامر بعزل الامير بشير . امّا غانم فكانت الغربة قد عزّزت فيه حبّ العزلة والانفراد ، وكان له في داخل عائلته ما يصرفه عن طلب التسليات الخارجية ، فغدا لا يهتمّ الّا بولديه يصرف في ملاعبتهما معظم نهاره ، ويقضي الباقي في محادثة مصطفى آغا . فيطلعه هذا على المهمّ من الحوادث والاخبار ، ويوفّر عليه مؤونة الجولان في القلعة ، والاستهداف لنظر الجزّار ، والتعرّض للالتقاء ببعض اللبنانيين من الحزب المعاكس ، وقد اصبحوا كثيرًا في اروقة السراي يذهبون ويجيئون منتظرين قرار المولى بفوزهم على الامير . كل ذلك كان يطّلع عليه غانم وهو في منزله ، فيبعث به الى اميره طالبًا اليه التعجيل في ارسال اموال « الميري » تلافيًا لما قد يفاجئ من بوادر الجزّار ، واملًا بان هذا يطلق سبيله ، اذا ما تأكد وفاء الامير بوعوده . فيطير بامرأته وولديه الى مسقط رأسه ، ويخدم اميره في بلاد اجداده .

على ان هذا الأمل كان يتضاءل شيئًا فشيئًا لما كان يخشاه من قرب انقلاب الجزّار على الامير ، فييأس من الخلاص ، ويتعزّى بالانزواء في البيت يداعب ولديه ويفرّج الهموم عن صدر بدور ، فلا يخرج الّا لأمر مهمّ .

وبينما هو صباح احد الايام ذاهبًا لشراء بعض الحوائج من خان الافرنج ، رأى جمعًا غفيرًا يتجمهرون حول السراي ، فتطاول اعناق البعض نحو الحائط قرب الرتاج ، ويلفظ البعض الآخر صاخبين ، ويرجع غيرهم منكسي الرؤوس شاحبي الالوان . فاستغرب هذا المظهر غير المألوف ، وظنّ اولًا ان الجزّار اصدر امرًا جديدًا بتكثير الضرائب او بحجز الاموال ، او بعقاب بعض مناوئيه . لكنه لم يقترب من الرتاج حتى تحوّل استغرابه الى ذهول ملك عليه طرق

تفكيره ، اذ رأى منشوراً كُتب بحرف ديواني كبير ، وصُدّر برسم الطغراء السلطانية ؛ فقرأ فيه ما يلي :

فرمان
الى سائر البلدان
من السلطان سليم غازي

« بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله ربّ العالمين . والصلاة والسلام على سيد المرسلين . وعلى آله وصحبه اجمعين . اما بعد يا جماعة الموحّدين . وملّة المسلمين . اعلموا ان الطائفة الفرنساوية جعل الله تعالى ديارهم دارسة . واعلامهم ناكسة . وهم الكفرة الطغاة . والفجرة البغاة . لا يؤمنون بوحدانية ربّ السماء والارض ولا برسالة الشفيع يوم العرض . قد هجموا على اخذ الاسكندرية ومصر القاهرة وما يليها . ومرادهم الاستغلاس على يافا وغزة والرملة وتوابعهم . وعلى عزمهم الفاسد الخايب الخير صايب ولا مصيب تدمير امة المسلمين الموحدين . بوحدانية ربّ العالمين مقرّين . وبرسالة رسوله معترفين . فهذا قصد الفرنساوية من الحادهم ومكرهم . وشرّهم وكفرهم . فكيف لا يكون فرضاً لازماً على كل واحد من المسلمين . فيا غزاة الموحّدين . ويا ابطال الحرب والضرب . ويا رجال الغزو والنهب . ويا اراكن الشريعة المحمدية . وقواعد الملة الحنفيّة . بل يا كل المسلمين المؤمنين بالله تعالى وبرسوله مقرين . القوا الهنة المحمدية لحرب هذه الملة الفرنساوية لان في زعمهم ان زمرة الموحّدين كالكفرة الذين حاربوهم وحوّلوهم الى اعتقادهم . ولم يعلموا الملاعين ان الاسلام مغروس بقلبنا . والايمان ممزوج بدمنا . اكفراً بعد ايمان . وضلالاً بعد هديان . كلا ورب السماء والارض . فكونوا متفقين على تقوية الدين المبين . وعلى حذر من الكافرين . ولتكن سيوفكم بارقة . وسهامكم راشقة . واسنتكم متلاحقة . ونبالكم في ابدانهم متسابقة . والفرسان تجول بحومة الميدان . وتلقي الكفرة في النيران . ونحن من طرف السلطنة السنيّة . اشهرنا الامور العلية . في جميع العساكر والاجناد . وعلى ساير البلاد . بحول الله وقوّته .

وعظيم قدرته . عن قريب تجتمع كل العساكر وافره . وجنود متكاثره . وسفن كالجبال تمشي بقدرة الملك المتعال ذو الجلال . ومدافع كالرعد القاصف . والبرق الخاطف . وشجعان لا يبالون بالموت حبًا في دين الله . واقتضى حيث وجود صداقة صدوقة محبة معروف سيادة المحب الصادق الصدوق . والخل الموافق الوثوق . اجلّ الاحباب . وسمهري الانساب . سعادة اخينا المحترم . سلطان الانكليز المفخم . المعتمد معنا بالارتباط سوية . على تدمير الملة الفرنساوية . ولعزيز مكارمه . ووفور مراحمه . اقتضى وجاد . بجوده في الوداد . وسيّر من فيض مكارمه ساري عسكر ثم ومن لدننا ساري عسكر لعمارة العثمانية . وكافة المراكب البحرية . افتخار الامراء الكرام في الطايفة المسيحية . وعظيم الكبرا الفخام في الملة العيسوية . مصلح مصالح جماهير الامة النصرانية . جناب محبنا السينيور بلمام سند سميت المكرّم بالتفويض الخاقاني . مشير مطلق . مشيّد موفق . ناظم ومنظم . قطب تلك الديار . بوجه المناظرة والاعتبار . فليعلم كل منكم تفويض محبته بالالتفات من لدننا من سائر الجهات . فهما مرّ عليكم من مراكبه ومن اتباعه فيّروا له الاكرام الزائد . والانعام الواتر . وليعلم الخاص والعام . زود صداقته مع الاسلام . والاعانة لنا منه على الدوام . على تدمير الفرنساوية اللئام . تعلموا ذلك وتعتمدوه والسلام .»

حرر في صفر ١٢١٣

قرأ غانم الفرمان ذاهلًا لتلك المفاجأة ، مراجعاً مقاطع المنشور كي يتحقق صحة ما يبدو امام عينيه ، حتى اذا ناب اليه رشده ، تناوبته الخواطر المختلفة وكلها تراوح بين الامل والايجاس . كان يؤمل خيرًا بقدوم الفرنساويين ، الذين كثيرًا ما سمع عن صفاتهم الطيبة ومحبتهم للبنان واهله ، فيرجو ان يخلصوه ، ووطنه ، من ظلم الجزّار . ولكنه كان يوجس خيفةً من انتقام هذا الظالم اذا شعر بوصول الفرنساويين ، ولا شيء يمنعه ان يقتل المسيحيين جميعهم تشفياً من الافرنج . ثم انتقلت به الافكار فجأة الى بلاط دير القمر ، فجعل يفكر بما عسى يكون موقف الامير بشير من هذا الأمر ، وهو يميل الى الافرنج كل الميل ، ولكن لا يمكنه ان يعصي اوامر وليّه ، ولهذا عليه

المال الوافر ، وبين يديه الرهائن الثمينة . وهنا ضاق صدر غانم ، فادار طرفه الى الجبال البعيدة يبحث في ما وراءها عن مقرّ بلده ، نادماً على معاكسته آراء فرحات في الحرب ، متأسفاً على انه لم يتخلّص مع بدور من مخالب الجزّار .

ثم اشتدّت تصوّراته ، فتجسّمت اوهامه ، حتى خيل اليه انه يرى الفرنساويين ، وقد حلّوا ارض عكا ، يضربون النطاق حول القلعة ، فيحصرون من فيها ، ويرمون اسوارها بكلل مدافعهم الضخمة ، ورصاصهم المتتابع ، فتفتح لهم الابواب ويدخلون ظافرين ... وبلغ الفرح من غانم مبلغاً استفزّه فجعل يهنئ نفسه بانتصار الافرنج ، بانياً من الآمال صروحاً شامخة ، طامحاً الى اقصى درجات السعادة والهناء ، مسرّحاً نظرًا مغتبطاً في اطراف تلك القلعة وقد صارت ، في وهمه ، ملك الفرنساويين فطهروها من آثار الظلم والفساد ... ولكن لم يقع بصره على ضخامة تلك الجدران ، حتى عادت به الذكرى الى اربع سنوات خلت ، فرأى ذاته مع بعض اللبنانيين يقودهم علي آغا تحت تلك الاسوار ، فيطلعهم على منعتها ، ويشرح لهم ما بذله الجزّار في سبيل اعادة بنائها ، ويسأله غانم عن القصد من كل ذلك ، فيجيب بكلمات ظهرت في ذاكرة غانم بحرفيّتها كنبوّة قد قرب زمن تحقيقها :

— « من يدري ما يقوده الينا الزمان مما لعلّه يُظهر منفعة هذه الاسوار . وما ادراك ما سيكون لمنعتها من التأثير في مستقبل الاحوال . قد تنفع المولى في اشدّ أزماته ، وقد تغيّر مجرى كثير من المقاصد والمطامح ... »

نعم لقد تُغيّر مجرى كثير من المقاصد والمطامح ... وقد بدأت النبوّة تتحقق من تلك الدقيقة ، فغيّرت هذه الذكرى مجرى افكار غانم من أمل استفزّه فرحاً غير معقول الى يأس مظلم تجلبب بخوف ، فكاد يدفعه الى الاشمئزاز من الحياة ، لولا ذكره لامرأته وولديه . على انه شاء التخلّص من تلك الاوهام ، فابتعد عن القلعة تاركاً للزمن ان يبتّ في حقيقة النبوّة ، وقصد خان الافرنج ليشتري ما طلبته بدور من الحرائج .

وكان ، في الطريق ، يرهف اذنيه عن غير قصد ليتسقّط ما يُقال عن مجيء الافرنج . فكان يسمع البعض يردّدون تعابير الفرمان ، خائفين من

اعلان الجهاد وما يجرّه من البلايا على التجار والمزارعين وسائر ارباب المصالح . فيجاريهم البعض الآخر هازئين بقوّة الجيش العثماني ، متأكدين انتصار الفرنساويين ودخولهم عكا . فيستدرك غيرهم زاعمين ان الانكليز مع السلطان ، ومتى قدم الانكليز الى عكا فانهم يحمونهما من الانس والجان ، لان قوّادهم لا يُقاوَمون ، ومراكبهم لا تُقلب . . .

بين هذه الاقاويل المتناقضة ، قطع غانم معظم السوق حتى وصل الى خان الافرنج ، فالتقى بالاب توما ، وعلى هيئته إمارات العجلة والاهتمام ، فاستوقفه مسلماً . فقال الاب :

— كنت ذاهباً لاودّعكم في البيت . . . الحالة في منتهى الحراجة ، وقد اصدر الجزّار امراً بطرد جميع المسيحيين من عكا . . . والظاهر انه شديد الخوف من الفرنساويين ، ويخشى ان يثور عليه النصارى ، اذا ما قرب ابناء دينهم من المدينة .

— يطردكم هكذا ! واين تذهبون ؟

— نذهب الآن الى الجبل او الى صيدا . على ان الجبل آمن لنا اذ لا يبعد ان يصدر امره بعد ايام بطردنا من صيدا ايضاً ، بل ومن سائر المدن البحرية . . .

— أوَلا تظنّ انه يأمر بطردي انا ايضاً ؟ فاسرعْ معكم الى بلادي ونقيم في لبنان اعزّاء مكرّمين ؟؟؟

فهزّ الاب توما رأسه ، وقال :

— لا اخال ذلك ممكناً . فليس الجزّار من النباوة بان يتركك تفلت من يده ، وهو لم يستوفِ بعد اموال الميري من الامير . وعلى فرض انه استوفى ذلك ، فلا إخاله يتركك في هذه الظروف ، وهو غير امين من اميرك الى اية جهة يميل في هذه الحرب المقبلة ، وجيش اية فريق يساعد . . . أوَ لم تعلم شيئاً بهذا الخصوص ؟

— قطعاً ! بل انني لم اعرف بقدوم الفرنساوية الّا هذا الصباح !

— عجيب ! فقد شاع الخبر منذ ايام . وعلّق « فرمان الجهاد » صباح البارح ولا بدّ ان يكون عند الامير بشير معلومات ثمينة عن هذه الحركة قد يبعث

بها اليك فتفيدك في موقفك الجديد.

— هلمّ اذاً الى منزلي ، فتودّع بدور وتبارك الصغيرين ! ونرى هل جاءنا فرحات بشيء جديد...

بعد نصف ساعة ، كان فرحات يمسح عرقه ، ويقصّ على غانم وبدور والاب توما ان الامير بشيراً عزف بعزم الفرنساوية على مهاجمة مدن الساحل ، وانه ارسل الى مصر المعلم نقولا الترك ليطّلع على قوى الجيش ويعلمه بتاريخ زحفه على عكا. واخبرهم ان نصارى لبنان جميعهم ينتظرون بفروغ صبر وصول بونابرتي ، وقد اخذوا يستعدّون لملاقاته بالمؤن والذخائر ، وللانخراط في عسكره اذا سمح لهم الامير . اما الدروز فقد ملك الرعب قلوبهم ، وبعد المخابرات العديدة ، اجتمعوا في اعبيه ، وتحالفوا في مقام الامير السيد علي على مقاومة الفرنساوية ، والخروج على الامير اذا انحاز اليهم. ولكن الشيخ عبدالله القاضي البيصوري اعترض المشايخ في قرارهم هذا ، وافهمهم انه لا سبيل الى مقاومة الامير . فسرّ الامير باعتراضه ، ورضي عنه ، واطلق له التصرّف بعقاراته.

فقاطعه الاب توما سائلاً ؟

— أوَ يقبلنا الامير في بلاده ؟

فقال غانم :

— بكل طيبة خاطر ! على اني ارجو منكم ان تؤخروا سفركم الى صباح الغد . ربما اكون جمعت بعض المعلومات عن عزم الجزّار ، فاكلف حضرتكم ايصالها الى الامير ، وتسيرون مع فرحات فيكون لكم دليلاً اميناً.

وقبل الفجر الاول كان فريق من مسيحيي عكا يقطعون حدود المدينة الى الجبل ، يتقدّمهم فرحات والاب توما ، وقد حمله غانم كتاب توصية للامير اخبره فيه بمهمتهم ، واطلعه خصوصاً على ان الموقف في عكا حرجٌ للغاية ، وان الجميع يخافون من وصول الافرنج ، وان الجزّار يزداد إعراضاً عن الامير وميلاً الى الحزب المعاكس الذي يتكاثر عدد اعضائه في بلاطه يوماً فيوماً. وانه ، اذا ولّى ابني الامير يوسف ، فلا يمكنه تعزيزهما بالعسكر لما هو فيه من الاستعداد لمقاومة بونابرتي . فوالحالة هذه ، تؤول تولية الاميرَين لخير الامير بشير وحده ،

لانهما لا يمكنهما دخول لبنان لعدم مساعدة عسكر الجزّار ، ثم ينفسح المجال للامير بشير لرفض مطالب الجزّار ، اذا طلب منه المساعدة على الافرنج ، بحجة ان اهل الجبل لا يطيعونه بعد ان بلغهم تولية ابني الامير يوسف. فكان هذا الرأي دالاً على دهاء غانم ، واضطلاعه ، على صغر سنه ، بفنون المناورات وملاوي السياسة.

ولم يتعالَ النهار حتى رجع فرحات وعلى وجهه امارات الذعر ، فبغت غانم والتفت اليه مستفهماً ، فقال :

— التقينا على ساعة من عكا بشرذمة من عساكر الجزّار ، فارقفونا واخذوا يفتشوننا واحداً واحداً.

فاضطرب غانم وقال : والمكتوب ؟

— لم يطّلعوا عليه لان بونا توما كان قد خبّأه في بطانة جبّته...

— الحمد لله ! وانت ؟

— لقد ارجعوني الى هنا بحجة اني لبناني ، والجزّار لم يسمح للبنانيين بالخروج ، بل طرد المسيحيين من سكان عكا.

فاطرق غانم قليلاً ثم قال :

— لنا نصيب بك ، فادخل ولا تكره شراً لعلّه خير...

* * *

مرّ شهر على تلك الحال ، وغانم حائر في ما سيكون من اوامر والي عكا بشأنه وشأن اميره ، والاشاعات عن الجيش الفرنساوي تصل متقطعة متناقضة ، فمن قائل ان الافرنج مكسورون في بلاد مصر ، ومن زاعم انهم قادمون بالعسكر الى فلسطين ، والجزّار لا يزداد الّا اندفاعاً في التحصين والتسليح ، فأعلى الاسوار ، وزاد عدد الحامية ، وارسل فاحتلّ العريش على حدود مصر ، وحصّن يافا والرملة وحيفا ، وطرد المسيحيين من جميع المدن الساحلية.

وكان آخر مساويه ، في نظر غانم ، انه اتّهم الامير بشير بالاتحاد مع الفرنساوية ، بعد ان اخبره الشيخ جرجس باز بذهاب المعلّم نقولا الترك الى مصر ، فغضب واصدر امراً بعزل الأمير وبتعيين ابني الامير يوسف مكانه . ولكنه

اوقف تسييرهما الى الجبل لعدم توفر العساكر لديه في تلك الظروف الحرجة . فتمّ ما تنبأ به غانم ، واصبح ينتظر حلول غضب الجزّار عليه وعلى عائلته.

ولم يطل به الانتظار ؛ فاتاه ، في اوائل سنة ١٧٩٩ ، عبدالله آغا موفداً ، من قبل الجزّار ، يبلغه قرار مولاه باسترجاع امر الحريّة والاذن بالجولان الذي منحه اياه سابقاً ، وبوجوب نقله الى القلعة.

فلم يسع غانم الّا الامتثال ، فودّع مصطفى آغا ، وانتقل باسرأته ووالديه وفرحات الى غرفتين حقيرتين في الجانح الايسر من القلعة ، لا منفـذ لهما الّا الباب يفتح على دهليز مظلم ، ونافذة تطلّ على البحر من علوّ شاهق.

وفي ليل السابع عشر من آذار ١٧٩٩ ، افاق اهل عكا مذعورين لدويّ المدافع المتتابعة ، فجعلوا يهجرون اطراف المدينة ملتفّين جميعهم حول السراي ، غير مبالين بما يتركون من أرض او منازل او مال ؛ ولا صوت يسمع في ذاك الليل سوى : وصل الافرنج !!!

امّا الجزّار فكأنّ قرب الخطر عزّز فيه عاطفة المقاومة ، فأحيا مـا بقي من الليل يتفقّد الاسوار ، ويلقي الاوامر المشدّدة باحكام الاقفال ، والدفاع حتى النهاية ، مهدّئاً الخواطر ، مكرّراً ان المؤونـة لن تفرغ لأن الانكليز يتكلّفون اعاشة المحاصرين من البحر ، وان الأسوار منيعة لن تؤثّر فيها مدافع الافرنج الجبليّة ، فضلاً عن ان في ابراجها مدافع قويّة ايضاً كان غنمها الانكليز من احد المراكب الفرنسوية.

وقد ازداد موقف الجزّار منعـة بعد الثامن والعشرين من آذار ، اذ قام الفرنسويون باول هجوم على القلعة فارتدّوا خائبين بعد عراك شديد . فاراد الجزّار ان يثأر منهم ، فطلب جميع من كان في سجنه من المسيحيين واصدر الاوامر بشنقهم . فنفّذت حالاً على مرأى من فرحات الذي كان مختبئاً في احد الابراج . فأسرع يعلم مولاه غانماً ، وكان قد حُظر عليه الخروج منذ وصول الفرنساويين . فخافت بدور كل خوف ، وجعل غانم ينتظر وصول الدور اليه بين ليلة وضحاها . على انه كان يدفـع الاسى بتقبيل صغيريه ، فكانت كل بسمة من ثغريهما اللطيفين بارق أمل في ذاك الجوّ المدلهمّ بالخطوب والرزايا . . . (لها بقية)

مطبوعات شرقية جديدة

Grousset (René) : Histoire de l'Extrême-Orient. *t. I. 4 cartes, 26 pl., 1 frontisp. color. — t. II. 3 cartes, 6 pl. — gr. 8° XVIII - 771 p. Paris, Geuthner*, 1928.

تاريخ الشرق الاقصى

كان مؤلف هذا الكتاب ، وهو مساعد لأمين متحف غيمه (Guimet) ، نشر سنة ١٩٢٢ « تاريخاً لآسية » ، فاردفه اليوم « بتاريخ الشرق الاقصى » الذي يغني عن الاول ويمتاز عنه بحصر موضوعه ، باحثاً في الهند ، والصين ، وبلاد المغول ، والهند الصينية ، وانام . اما تاريخ اليابان فاجله المؤلف لفرصة اخرى كي لا يضخم هذا المجلد . وانه لمن المفيد ان يكون لنا في ما خصّ تلك البلاد ، التي لا يكاد معظم قرّائنا يعرفون عنها شيئاً ، معلومات شتى عن ماضيها وحوادث تاريخها ، ومدنيتها ، وفنونها ، وجغرافيتها ، تظهر بطريقة مرتبة مع الخرائط المفصلة ، واللوحات التصويرية ، والمآخذ الواسعة للمصادر . وهو ما قام به صاحب الكتاب فاستفاد من التآليف الالمانية وخصوصاً الانكليزية في الموضوع ، فضلاً عن الفرنسوية التي مهّدت السبيل لغيرها في درس بعض المناطق وبعض عصور التاريخ . وقد اورد المؤلف في بعض حواشيه نصوصاً باللغة الصينية.

س . د .

Emilio Garcia Gómez : Un texto arabe occidental de la Leyenda de Alejandro. *Vol. in-8° de CLXIV + 108 + ٧٤ pp. Instituto de Valencia de Don Juan, Madrid*, 1929.

حديث ذي القرنين في مخطوطة مغربية

هي مخطوطة مغربية تتضمّن اسطورة الاسكندر الكبير نشرها المؤلف وترجمها الى اللغة الاسبانية ، بعد ان قدّم عليها درساً طويلاً علمياً في تلك الاسطورة التي انتقلت من اليونانية الى ادبيات اللغات المهمّة فظهرت في اللغة البهلوية ، وفي التلمود ، وفي اللغتين السريانية والحبشية الى غير ذلك .

ومن المحتمل انها انتقلت من السريانية الى القرآن والحديث ، فحار بشرحها المفسرون حتى كان منهم من ارتأى ان هناك اثنين باسم الاسكندر : احدهما ذو القرنين المذكور في السورة الثامنة عشرة ، والثاني الاسكندر الكبير المعروف في التاريخ . وان من الغريب ان تعدّ احدى مجلات سورية تافهاً هذا التأليف العلمي الدقيق ، فتبرهن بحكمها هذا على ان ناقد الكتاب لم يقرأه ، او انه لم يفهمه لسوء الحظ .

ه . ل .

P. Marx : L'évolution du régime représentatif vers le régime parlementaire de 1814 à 1816. *g^e. in-8°, 224 pp. Prix : 30 fs. Paris, Librairie A. Rousseau*, 1929.

تطوّر الحكم التمثيلي نحو الحكم البرلماني من سنة ١٨١٤ الى ١٨١٦

يظهر هذا الكتاب ، لاول وهلة ، بعيداً عن عصرنا ؛ على ان من يدرسه عن قرب يرى انه نشأ من ظروف العصر من حيث تأخر الحكم البرلماني . وهذا هو الحادث الذي دفع المؤلف الى البحث في اصل هذا الحكم ، ونشأته عن الحكم التمثيلي في فرنسة ، من مدة لا تكاد تتجاوز المئة سنة . فاذا عرفنا هذا رأينا ان الحكم البرلماني المذكور دخل سريعاً في طور الشيخوخة . وذلك ان الثورة الفرنساوية التي ظهرت وافرة الحماسة والبراعة في الهدم والتدمير قلّما برعت في البناء والتشييد . وعلى عكس ذلك فان الرجوع الى الملكية عزّز ، على قدر الامكان في تلك الفترة القصيرة المضطربة ، جميع الحريّات العامة . وقد حصر المؤلف موضوعه بين سنتي ١٨١٤ و ١٨١٦ ، فاظهر كيف ان الحكم التمثيلي تطوّر شيئاً فشيئاً متحوّلاً الى نظام برلماني ، وكان من اهم الغِيَر على حقوق البرلمان اولئك المتدفعون الذين كانوا يدعونهم المغالين في الملكية ، والذين نرى من الاحقّ ان يدعوا « المغالين في البرلمانية » . لانهم كانوا ، على ملكيتهم ، من اقوى المدافعين عن حقوق الامة جميعها . هذا وان المؤلف يستند في الكثير من احكامه الى المؤرخ ديفرجيه دي هوران (Duvergier de Hauranne) ، وما ضرّه لو استند الى تاريخ نيتمن (A. Nettement) المشهور بعدالته وحبّه للانصاف .

ج . لم

Prinz Mohmed Sa'id Halim pascha's « Islamlaschmaq » *nach dem Sonderabdruck Dar-al-Hilafe, Huquq Matba'sy,1337,türkisch neu veroffentlicht von* A. Fischer. *Leipzig, Verlag der Asia Major*, 1928.

احياء الاسلام لمحمد سعيد حليم باشا

ينشر المؤلف في هذا الكتاب النصّ التركي الذي كان ترجمه ، مقدّماً عليه بالالمانية بحثاً مستفيضاً في قيمة النصّ المذكور وفائدته . وجميع ذلك ظهر اولًا في المجلد الثالث من مجلة « اسلاميكا »

Sir Aurel Stein : On Alexander's Track to the Indus. *Personal narrative of Explorations on the north - west frontier of India. XVI - 173 pp. q°. 8°; 2 cartes, 97 reprod. photolithogr., etc.* 1929. *London, Macmillan. Prix* : 21 / -

على آثار الاسكندر ، الى ناحية نهر الهندوس

ان مؤلف هذا الكتاب ، السير اورل ستين ، من اشهر روّاد آسية الوسطى في عصرنا ؛ وقد زار مؤخرًا كليتنا وخصوصاً زميله الرائد الاب پوادبار . وهو يُطلعنا ، في كتابه الجديد ، على تفاصيل رحلة قام بها في الشمال الغربي من نهر الهندوس ، خارجاً عن الحدود الادارية للهند الانكليزية . وكانت غايته التفتيش عن آثار مرور الاسكندر الكبير في تلك المنطقة التي كانت لا تزال مجهولة من روّاد الاوربيين . وقد قيّد في رحلته كلّ ما صادفه من الآثار العادية ، وما لاحظه من الشؤون الجغرافية والتخطيطية والجنسية . ويمكن القول ان هذا المجلّد ، الثمين بما حواه من المستندات والصور والخرائط هو تمثيل حيّ لبعثة الملك المكدوني في تلك الجهات ، واقرار لاقوال مؤرخي اليونان في الموضوع ، تلك الاقوال التي قد يميل بعض مؤرخي عصرنا الى جعلها في مصافّ الاساطير والخرافات . وبعد اظهار صحة اقوال مؤرخي اليونان ، لا يمكننا الّا الاعجاب ، مع المؤلف ، بتلك العزيمة التي تكاد تفوق قوى البشر ، والتي دفعت اولئك المكدونيين من ضفاف بحر ايجه الى قلب آسية الوسطى والهند ، في بلاد جبلية يلاقي فيها الجيش عقبات عديدة عند كل

حركة من حركاته . اما كلام السير اورل ستين عن هذه البعثة فهو لذيذ للغاية حتى كأنه من روايات الف ليلة وليلة ، ولكنها رواية علمية مستندة الى التاريخ والآثار . فضلاً عن ان الواحها التصويرية غاية في الاتقان على كثرتها وهي تكاد تبلغ المائة ، مما يستدعي الثناء على الناشر مكميلان بما بذله من العناية في طبع هذا المؤلف النفيس.

س. ر

Feinberg (Nathan) : La question des minorités à la conférence de la paix de 1919 - 20 et l'action juive en faveur de la protection internationale des minorités. *gr. in-8° de 167 pp. Paris, Libr. Arthur Rousseau.* 1929. *Prix* : 30 *fs.*

مسألة الاقليات في مؤتمر الصلح في سنة ١٩١٩ – ١٩٢٠ ، والعمل اليهودي في سبيل الحماية الدولية لهذه الاقليات

يلقي هذا الكتاب على مسألة الاقليات نوراً جديداً . وان مؤلفه ، وهو محام لدى المحاكم الحقوقية في فلسطين ، لا يجهل استحالة كتابة تاريخ عام لهذه المسألة ، ولكنه بذل جهده في جمع المعلومات الممكنة لذلك. وقد جمع في تأليفه موضوعين مهمين عرض في الاول وجهات النظر الى الاقليات من لدن الجمعيات المختلفة لتعزيز السلام ، والديموقراطية الاشتراكية ، والدول المتحاربة ، واليهود ، وجمعية الامم . ثم تبسط في العمل الذي قام به اليهود في مؤتمر الصلح سعياً في بسط الحماية الدولية على الاقليات . وتدخل اليهود هذا يظهر فعالاً ليس فقط في تعزيز مصلحة بني قومهم ، بل في تحسين حالة الاقليات على الجملة . وهذه هي المسألة الدقيقة التي يجلوها المؤلف فيستحق الشكر

ج. ل

J. Rosinthal : Pendentifs, trompes et stalactites dans l'architecture orientale. *petit 4°, 106 pp. nombr. fig., 10 pl. Paris, Geuthner,* 1928.

بحث عن اقتال العقود ، وزوايا القبب البارزة ، والتعاليق ، في هندسة البناء الشرقية

يدرس هذا الكتاب نقطة خاصة من هندسة البناء الشرقية ، ولكنه جدير باثارة اهتمام قرائنا من سوريين ومصريين وعراقيين ، لانه يحل مسألة طالما حام حولها علماء الآثار وهي اصل تلك التعاليق والزخارف في الهندسة

الشرقية وطريقة بنائها . ولم تكن درست الدرس الكافي حتى الآن مسألة اقفال العقود الفارسية ، ولا المثلثات التركية ، فأتى المؤلف وسدّ هذه الثغرة بشروحه وبما اتبعها به من الرسوم الفنية المتقنة التي تنير القارئ الشرقي وتقرّب اليه فهم نظرية الكاتب. س. ر.

M. Venderheyden : La Berbérie orientale sous la dynastie des Benoû-l-Arlab (800 - 909) *g^r. in*-8°, 344 *pp.* 1927, *Paris, Libr. P. Geuthner. Prix* : 75 *fs.*

بلاد البربر الشرقية في زمن دولة بني الاغلب

حكم امراء بني الاغلب اكثر من مائة سنة بلاد افريقية اي المقاطعات الممتدة من بجاية الى برقة شرقي طرابلس ، او ما يمثل على التقريب بلاد تونس وطرابلس الغرب ، فخلّصوها من الفوضى السائدة في تلك الجهات منذ الفتح العربي . فاستحقّوا لذلك بعض الاهتمام ، وان لم يكن حكمهم من الاهمية بمكان في التاريخ العام لذاك العصر . على انه من الواجب شكر المؤلف على ما بذله من الجهود في الوصول الى نتيجة لم يصل اليها دائماً ، ولا غرابة ، لاننا لا نعرف شيئاً مهمّاً عن افريقية الشمالية في القرون الوسطى . وعلى كلّ فاننا نسرّ اليوم اذ نرى لدينا كتاباً دُرست فيه درساً نقدياً حقبة من تاريخها في تلك الاعصر. ج. ل.

Entretiens de Juilly. I. Le problème international. *in*-12 227 *pp. Paris, de Gigord.*

محادثات جويلي : ١ – المسألة الدولية

هذا الكتاب حلقة اولى من سلسلة ابحاث يقوم بها عدّة مفكّرين اتفقوا على حفظ ما يتداولون به في اجتماعاتهم التي لها صفة الرياضيات العقلية ، وذلك في مجموعة شاملة لأهم النظريات العامّة . وقد بدأوا « بالمسألة الدولية » وقد شرحوها في سبعة اقسام : هل تنبسط شريعة المحبة حتى تشمل العلاقات الدولية ؟ — التضامن الدولي . — بين الكاثوليك والفاشيست والبلشفيين . — النزوع الى الامبراطورية — المسألة الاستعمارية — ماذا ينتظر الكاثوليك الاجانب

من كاثوليك فرنسة ، وعلامَ يلومونهم ؟ — القواعد العملية لتعاون دولي بين الكاثوليك.

E. Devoghel : La questiou romaine sous Pie XI et Mussolini. *in*-12, 339 *pp. Paris, Bloud et Gay.*

المسألة الرومانية في عهد بيوس الحادي عشر وموسوليني

من حسنات هذا الكتاب ان مؤلفه من سكان رومية فامكنه ان يقيّد يوماً فيوماً ما كانت تثيره في الصحافة الايطالية تطوّرات المسألة الرومانية. وقد بدأ تأليفه بذكر «شريعة الضمانات» فانتهى في ٢٥ فصلًا ، الى اتفاقية لاتران. ومن السهل على مطالع الكتاب ان يتحقق وجود مجريين منذ منشأ المسألة الرومانية : الاول ظاهر تبدو فيه ارباب الخلاف من التباين في النظرات والصعوبات : والثاني خفي يتضمن المساعي للتقرّب والمفاوضات والاتفاق. وقد ظل هذان المجريان حتى آخر دقيقة . هذا وقد جمع المؤلف في الملحق الوثائق الثاني المهمة . فألف مجموعاً تامًّا لا يستغني عنه كل من يرغب في درس التاريخ العصري. ج. ل.

Islamica, vol. III, fasc. 4

الجزء الرابع من المجلد الثالث لمجلة « اسلاميكا »

مما تجب الاشارة اليه ، في هذا الجزء ، رمضانيات الشاعر التركي نابت المنشورة بنصّها ، وترجمتها الى الالمانية ، وشروحها . ثم مقال قصير خُصص بدرس ثلاثة ابيات تُنسب للشاعر المخضرم عمرو بن معدي كرب. ه. ل.

G. Mongrédien : Le bourreau du Cardinal de Richelieu, Isaac de Laffemas (1584 - 1657) *in*-8° *de* 178 *pp. Prix :* 30 *fs. Paris Editions Bossard.*

سياف الكردينال دي ريشيليو

هو تاريخ رجل اناله ريشيليو ثروةً هائلة لانه رأى فيه شخصاً مخلصاً له كل الاخلاص ، مستعدًّا لاجراء كل ما يأمر به . فنقله من وظيفة الى اعلى ومن مدينة الى اخرى ، فكان في جميعها من خير رجال الخفية ، يتجسس

ويطلع الكردينال على دخائل الامور مستبقاً بذلك محاكمة الكثيرين واعدامهم اما هل كان يعتبر ، في كل ذلك ، انه يخدم حكومة بلاده ؟ فهو ما يجيب عنه المؤلف بالايجاب دون برهان كافٍ ، وعلى كل فان ذكرى ذلك الرجل القاسي لا تزال ملطخة بشيء من دماء ضحاياه .

An Arab-Syrian Gentleman and Warrior in the period of the Crusades. Memoirs of Usamah ibn-Munqidh. Translated in full by Philip K. Hitti. *Columbia University Press, Prix: sh.* 4.50

كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ

الا يسعدنا الحظ ، يوماً ، باكتشاف نسخة لهذا الكتاب ، غير نسخة الاسكوريال الوحيدة ، التي نشرها بالطبع العلّامة ديرينبورغ (١٨٨٦ — ١٨٩٣) والحقها بمؤلفاته على اسامة ؟ اذا توفقت الآداب العربية الى ذلك الاكتشاف فسوف يتاح للناشرين ان يقابلوا بين نسخة ونسخة ، ويزيلوا بفضل تلك المقابلة مبهمات كتاب الاعتبار العديدة . على ان الدكتور حتي لم يحصل الّا على النسخة الوحيدة المذكورة وقد صورتها له السفارة الاميركية في مدريد ، فلم ينشرها بالعربية بل نقلها الى الانكليزية ، مستعيناً بما كتبه ديرنبورغ سابقاً في هذا الموضوع ، وبما اوحت اليه معارفه العامة وخبرته في التأليف ، ليعرف الى قرّاء الانكليزية كتاب الاعتبار مضبوطاً بترجمة دقيقة لا بالتصرف والتوسع الذي اختاره ديرنبورغ لحياة اسامة .

صدر المعرب كتابه بسيرة ابن منقذ ثم نشر صورتين لمخطوط الاسكوريال قابلنا بينهما وبين طبعة ديرنبورغ وبين ترجمة الدكتور حتي .

جاء في درنبورغ (ص ٤٥ : سطر ١٥) « انتظر وصولهم الى العلى اناال منهم فرصة » امّا الاصل فهو : « انتظر وصولهم لعلي اناال منهم فرصة » . والفرق ظاهر بين العلى مصدر علا يعلو ، ولعلّ حرف ترجي فاصلح المعرب هذا الغلط . لكنه لم يوفّق في حلّ لغز الكلمة الواقعة (ص ٣٧ ، ٨) اخر السطر ولعلها « فجأة » (؟) واغفل مع ديرنبورغ كلمتي « على ظهره » (سطر ٩) وزاد بعده لفظة « توسطهم » . تلك هنات لا تكاد تستحق الذكر

لولا وقوعها في اسطر وجيزة مما يؤدي الى توقع غيرها في مادة اوسع ولا سبيل الى المدقق في التنقيب عليها. من البديهي ان الدكتور حتي قد احب اسامة فغض النظر عن نقائصه فان ترجم له وذكر له عيباً ، فقد يستره بذكر محاسن كثيرة. وان هذا التحسين لشبهة في المؤرخين. على ان تبويب الكتاب وفهارسه تسهل مطالعته وتساعد على مراجعته وارتياد مناهله ف. ت.

الكتاب المقدس : العهد الجديد لربنا يسوع المسيح

طبع بمطبعة المرسلين اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٢٩

ثمن الكتاب مجلّداً خمسون غرشاً سورياً

كتاب الله ، انجيلنا ، بشارة الربّ يسوع ! اساس المسيحية ومصدر كل علم ونور . اليكه ايها القارئ العزيز . ان كنت مسيحياً فاتخذه لك ذخراً ، وان كنت غير مسيحي وتأبى ان تجهل ما هو اشهر من نار على علم ، فاقرأه ايضاً ! لا يحتاج الانجيل الشريف الى من يشيد بذكره ويطرئ لغته العربية البديعة ، بل حسبنا لفت الانظار الى سهولة اقتنائه بطبعته الجديدة ، فانها غاية ما انتهت اليه مجهودات المطبعة الكاثوليكية من الكمال . هذا المجلد يحوي العهد الجديد . وفي ختامه ملحق في آيات من العهد العتيق التي اوردها السيد المسيح ورسله في العهد الجديد ، وحواش على المجلد كله ، وجداول الاناجيل التي تقرأ في القداس الالهي عند جميع الطوائف الكاثوليكية في سورية ، منسقة على ترتيب حروف الهجاء. ويطلب الكتاب من المرسلين اليسوعيين في الشرق.

ف. ت.

تأملات لاجل الاكليروس والعلمانيين

تأليف هامون ، تعريب السيد المطران غريغوريوس حبرا

المجلد الثالث من الاحد الثامن بعد العنصرة الى المجيء

مطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان)

« ذوقوا وانظروا ما اطيب الرب » (مز ٣٣ : ٩) طيب هذا الكتاب لذيذ ، مغذٍّ بطعام الحياة الابدية ، بذكر الحقائق العظمى وبالتأمل بالله وكمالاته.

اقرأه ايها العزيز وتمهل بقراءته فتشعر قلبك يتمش بمحبة الفادي ، وضميرك ينتبه الى واجباتك اليومية ، ويرشدك الى اصلاح نقائصك والى ممارسة الفضائل . هذا الكتاب هو المجلّد الثالث من المؤلف الذي ذكره واطرأه المشرق (٢٤ : [١٩٢٦] ص ٣٩٥) فاهلًا به وسهلًا ، ويا ليت الكهنة يقتنونه لمكاتبهم والمسيحيين اجمعين بل كل نفس غيورة على خلاصها تقرأه وتطالعه يوميًا فتجني اثمار الصلوة العقلية الشهية .

ف . ت

جمهورية افلاطون

نقلها الى العربية عن الترجمات الانكليزية حنّا خبّاز

مطبعة المقتطف والمقطم ١٩٢٩ ، في نحو ٣٠٠ ص من القطع الثمن ، ثمنه ٥٠ ق . م

« المترجم خائن ! » هذا القول ، على قساوته ، صوابي لانه يكاد يستحيل على الناقل كتاباً من لغة الى لغة ان لا يغير فكرة المؤلف الاصلية وهي في القالب لا تُدرَك تماماً الّا بالقالب التي صُبّت فيه ، فاذا تقول عنها ان خرجت من قالب الى قالب الى قالب ؟ فلذلك لا يستطيع تعريب الاستاذ حنّا خباز ان يأتينا بجمهورية افلاطون كما خرجت من دماغ صاحبها باليونانية ، انما هو اتانا بشيء يقرب منها اخذًا عن مصدر انكليزي . ويا ليت ذلك المصدر كان موحدًا فتعود تبعته على صاحبه ، لكن الاستاذ خباز اختار ما بين ثلاثة مصادر ، فزاد فكرة افلاطون التباساً ، وضيع قيمة الكتاب في نظر الخاصة . على اننا نثني على جهد المعرّب ، ونهنئ المقتطف في اختيار هذا السفر الجليل هدية سنوية لقرائه من العامة . ان المعرّب سبق وقال « انه لا يوافق افلاطون في كل نظرياته » فاشار الى ما يجب التحفّظ به من المبادئ المناقضة الدستور الاجتماعي والحقّ الطبيعي في ما يخصّ الزواج وقداسته وغير ذلك . فبعد هذا التحفظ ، لا يسعنا الا الثناء على الكتاب ، اننا نرى فيه فائدتين لهما وقعهما الحالي : اولًا ان قراءة « الجمهورية » تعلم التضحية الحقيقية في سبيل الوطن ، اذ تعلّم تفضيل المصالح العمومية على المصالح الفردية مما يؤول امره الى سعادة الافراد . وثانياً ان اسلوب افلاطون المنطقي جدير بتهذيب الفكر

وتدريبه على الخصب والتوليد ، فيجر النتائج من المقدمات بسلسلة روحانية تعقل القوى النفسانية وتعلم التعمق بالتفكير والتدقيق في البحث.

اما مقدمة مدير المقتطف فقد نحا فيها نحو المقدّمات المتعدّدة لكتاب جمهورية افلاطون والمطبوعة باللغات الاوربية . ولعلّ فيها بعض المغالاة في اطراء افلاطون . ومن المعلوم ان كثيرين من العلماء يفضلون عليه تلميذه ارسطاطاليس . اما مبادئ الاشتراكية التي نوّه بها السيد صرّوف (ص ٨ ب ، سطر ١٥) فلم يفكر بها افلاطون بالمعنى العصري قط ، والفرق عظيم جوهري بين جمهوريته والجمهورية التي يحلم بها الاشتراكيون . لان هؤلاء يعدون الناس كلهم ، حتى الصعاليك منهم ، بالسعادة في هذه الدنيا . اما افلاطون فليس في مدينة السعادة عنده مقام للطبقات السفلى من البشر . كان العبيد في ايامه سوادًا عظيماً في العالم اليوناني ولم يخطر ذكرهم على بال افلاطون فلم يكن اذًا افلاطون اشتراكياً ، كما زعم بعضهم ، والاستاذ صرّوف معهم. ف.ت

العظماء

تأليف بلوطرخوس — نقله الى العربية ميخائيل بشاره داود

دار الصور ، مصر ، ١٩٢٨ — ٣١٤ ص . متوسّطة — الثمن ١٥ غرشًا مصريًا

ان كتاب بلوطرخوس في عظماء اليونان والرومان والموازنة بينهم لأشهر من ان يُعرَّف ، وكثيرًا ما نُقل الى اللغات المختلفة في ترجمات تتفاوت دقّة وتصرُّفًا ، على ان من اشهرها ترجمته الى الفرنسوية بقلم الاديب الكبير جاك أميو . وها ان بين ايدينا ترجمة عربية حديثة ، ولكن صاحبها ، حضرة السيد ميخائيل بشاره داود ، لم يرَ من الضروري ان يعرفنا عن ايّ اصل نقل ترجمته هذه ؛ هل عن الاصل اليوناني ام عن احدى الترجمات باللغات الاوربية الحديثة ؛ وهو امرٌ غاية في الاهمية . ومهما يكن من ذلك ، فاننا ننصح بقراءة كتابه لما فيه من الدرس النفسي الدقيق ، والتصوير الاخلاقي المفيد ، والموازنة بين عظماء الرجال . وكلّ ذلك يدفع الطلّاب الى حبّ الملاحظة والمقابلة واعطاء الاحكام . هذا وان الكتاب الحاضر مجلّد اول من التأليف كلّه ، يحتوي

على مقدمة في بلوطرخوس بقلم ڤيلمان ، وتراجم قسمة من عظماء اليونان والرومان. فعسى ان يتحفنا المعرّب قريباً بما يلي ذلك محسناً فيه الاسلوب العربي ، ومعدّدًا الحواشي اللازمة .

ف. ا. ب.

جزيرة رودس

تأليف حبيب غزاله بك

مطبعة الاعتماد ، مصر ، ١٩٢٩ — ٩١ ص . متوسّطة — الثمن ١٠ غروش

هذا اول تاريخ لجزيرة رودس باللغة العربية. وقد اصاب المؤلف باهتمامه خصوصاً بعصرَي تلك الجزيرة المهمين : عصر الجاهلية ، وعصر الفرسان الذين انتسبوا اليها فدعوا « فرسان رودس » . والكتاب مزيّن بتصاوير عديدة وخرائط ، ويليه خلاصة تاريخية عن اشهر جزائر بحرايجه. في حاشية الصفحة ١٠ يلزم اصلاح ١٨٣٢ بـ ١٨٦٩ وهي سنة وفاة الشاعر الفرنساوي لامرتين.

ه. ل.

* ترجمة الفيلسوف السرياني مار يعقوب الرهاوي ٦٣٣ — ٧٠٨ * نشرت اولاً في مجلة الحكمة ، بقلم مراد فرّاد جفي — القدس ١٩٢٩ — سررنا لقراءة هذا الكرّاس المنعم تملّيات وفوائد ، ووددنا لو وسع المؤلف مجالاً للتبسط في عرض موادّه زيادةً للايضاح.

* مصحّ القديس منصور دي پول بادارة راهبات المحبة — بحنس (قرب بيروت) (كراسة مصورة) * سنحت لنا الفرصة ان نزور هذا المصحّ ونتقابل بينه وبين غيره . فلا مناللة بالقول ان ما يلاقيه المرضى من نظافة وعناية في الدرجة الثالثة في بحنس ليس هو دون ما يناله في غير ذلك من المستشفيات في درجتها الثانية على ما تتقاضاه من زيادة في الرواتب.

* برنامج جمعية القديس منصور دي پول الخيرية في دمشق عن سنة ١٩٢٨ * الداخل ٢٨٨٥٣٫٦٠ فرنك ذهب . الخارج ٢٢٥٨٠٫٦٠ فرنك ذهب.

* خلاصة اعمال شركة القديس منصور دي پول في بيروت عن سنة ١٩٢٨ * الداخل ٦٧٢٨٢٢ غرش سوري . الخارج ٦٢٠٨١٨ غرش سوري.

* صدى الاحسان * وهي مجموعة ما ألقي من الخطب في بكتنا اكراماً لمن احسن الى مدرستها الشرقية.

* لغة المسيح في اميركا * هي نشرة مصوّرة وضعها باللغة الانكليزية حضرة الاب بطرس صفير في بوفالو اشادةً باتجاد الموارنة.

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ ايلول — ١٥ تشرين الاول

رفعت جمعية اتحاد الشبيبة الاسلامية في بيروت (٢٥ ايلول) ، الى مقام الحبر الاعظم ، يوس الحادي عشر ، رسالة التمست فيها توسط قداسته في المسألة الفلسطينية.

اهدت حكومة لبنان وسام الاستحقاق اللبناني من الدرجة الاولى الى صاحب اليافطة السيد القاصد الرسولي ، اقراراً بما كان له من الفضل في بلادنا مدة ٢٥ سنة.

التقى بالدنان البطريركان المنبوطان السيد كيرلس التاسع ومار الياس الحويك.

جاء كلام غبطة البطريرك تيوفي في باريس على حالة سورية ولبنان خلاصة مفيدة لما عملته فرنسة في بلادنا ولما تلاقيه من اعتراف الاهلين بفضلها. قال غبطته: ان عمل فرنسة كثير الفوائد في سورية ولبنان وجبل الدروز حيث نفذت مشروعات كبيرة للصحة وللاشغال العمومية والمعارف والامن ، وان الاهلين يودّون ان تعمّ فرنسة على الخصوص بتجارة البلاد. وقال: ان المندوب السامي الافرنسي جاءنا بالسلام والصداقة للسير بالبلاد في سبيل الرقي واليسر وقد ترك المسائل السياسية المسببة الانقسام ، فاحدث ارتياحاً عظيماً.

— في ٢٩ ايلول انتقل الى رحمته تعالى في الاستانة السيد باسيليوس البطريرك الارثوذكسي ولم يمض على وفاته ايام الا نودي بالسيد فوتيوس خلفاً له. اما اخواننا الاورثوذكس في سورية ولبنان فقدوا مجمعهم في دمشق ولا يزالون يتداولون في امر انتخاب بطريرك جديد.

من اخبار المفوضية العليا ان معدل السكان في الكيلومتر المربع الواحد هو في لبنان ٧٥ ، وفي بلاد العلويين ٤٣ ، وفي جبل الدروز ١٢ ، وفي سورية ١٠. ومن الاخبار العلمية ان المسيو فيرولو ابدى في اكاديمية الآثار بياناً عن الكتابات الاثرية التي اكتشفت في جهة رأس الشمرا في جوار اللاذقية واعمها كتاب من نوع الكتابات الاثرية التي اكتشفت في تل العارنة وهي تدل على انه كان يوجد على ساحل سورية في عهد الاسرة الثامنة عشرة المصرية حروف هجاء تختلف كل الاختلاف عن حروف الهجاء الفينيقية ويرجع اصلها الى ما بين النهرين.

— خلف الاستاذ اميل اده الشيخ بشاره الخوري في رئاسة الوزارة اللبنانية ، وعدلي يكن باشا محمد محمود باشا في الوزارة المصرية.

اما فلسطين فما زالت اخبارها متقلقة. على اننا نستحسن جهود من يسعى في بثّ روح السلام والتفاهم بين الفريقين.

جاء من باريس (١٨) اقيمت في « قاعة وغرام » حفلة كبرى جمعت خمسة آلاف شخص وخطب فيهم كثيرون من الخطباء اليهود والمسيحيين ، فنادوا بالتقرب بين اليهود والعرب. ثم وافق المجتمعون على قرار يناشدون فيه اليهود والعرب في فلسطين ان يطرحوا السلاح جانباً وان يعترف كل فريق بحقوق الفريق الآخر وان يتحدوا في ظل السلام والوفاق الذي يحفظ كرامة كل فريق ومصالحه الجوهرية ويجب ان لا يكون بين الفريقين نزاع وحقد وان يتبعوا في اتحادهم منهجاً واحداً لصيانة حقوقهم المشتركة.

ف. ت.